

ميثاق العهد

في مسالك التعرف إلى الله

الدكتور فريد الأنصاري

فيا أيها العبد الحائر الحزين!.. ذكر الله هو باب الفرج! تلك هي البصيرة الأولى التي أهديك بين يدي هذه الورقات! ولك أن تشاهد شعاعها الرقراق بنفسك إن شئت!

فاخرج أولاً من ظلمات ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ (الكهف: 101) وادخل بصيرة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: 37). فأيقظ قلبك! وألق سمعك! ثم شاهد معي فإنما كلمات هذه الرسالة مشاهدة!

استعد - أولاً - لتلقي آيات القرآن كلاماً من عند الله رب العالمين!

ثم انظر إلى مشرق النور.. هذا رسول الله ﷺ يتنصب بين يديك إماماً معلماً ومرتباً، يلقي كلمات النبوة بلاغا عن الله! فتأدب بأدب مجالس النبوة وأنصت! اقرأ وتدبر! ثم أبصر!.. تلك كلمات البدء، فخذ لها الآن فترة للتدبر والتفكير! حتى تستطيع الحضور، وتكون من المبصرين!

طبعة أبو-دبي
Imp. Info-Print
Tel / Fax : 055 64.17.26 - P.O.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله

مقدمة

إن الحمد لله حمدته، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رب العزة جل جلاله:

﴿وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

بذات الصدور﴾ (المائدة: 7)

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (الرعد: 25).

وقال رسول الله ﷺ:

﴿تَعْرِفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ﴾ (١)

* رواه أبو القاسم بن بشران في أماليه عن أبي هريرة مرفوعاً، ورواه الطبراني عن ابن عباس. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: 2961.

ثم أما بعد؛

فيا أيها العبد الحائر الحزين!... ذكّر الله هو

باب الفرج!

تلك هي البصرة الأولى التي أهديك بين

يَدَيَّ هذه الورقات! ولك أن تشاهد شعاعها

الرقراق بنفسك إن شئت!

فاخرج أولامن ظلمات الَّذِينَ كَانَتْ

أَعْيُنُهُمْ فِي غَطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ

سَمْعًا (الكهف: 101) وادخل بصيرة إِنْ فِي

ذَلِكَ لَذِكْرِي لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ

وَهُوَ شَهِيدٌ (ق: 37).

فَأَيِّقْ قَلْبَكَ! وَأَلْقِ سَمْعَكَ! (1) ثم شاهد معي!

فإنما كلمات هذه الرسالة مشاهدة!

استعد - أولاً - لتلقي آيات القرآن كلاماً من

عند الله رب العالمين!

ثم انظر إلى مشرق النور.. هذا رسول الله ﷺ

ينتصب بين يديك إماماً معلماً ومرتباً. يلقي

كلمات النبوة بلاغا عن الله! فتأدب بأدب مجالس

النبوة، وأنصت!

اقرأ وتدبر! ثم أبصر!.. تلك كلمات البدء،

فخذ لها الآن فترة للتدبر والتفكير؛ حتى تستطيع

الحضور، وتكون من المبصرين!

1 - إلقاء السمع: الإحصاء الكامل الشامل؛ بما يضمن المتابعة النفسية، كما سيأتي بيانه بحول الله.

فإذا كنت جاهزاً فلنبداً معا قصة السير إلى

الله:

انظر إلى الأرض كيف تجري في دورتها بين

دفتي الليل والنهار؛ تسير إلى محطتها الأخيرة!

نحن هنا مسافرون كرها لا طوعاً! عمرك

المحدود بأجله هو مدة الرحلة! رحلة ليس بيدك

توقيت انطلاقها، ولا موعد وصولها.. وليس بيدك

إيقاف السير ولا لثانية واحدة! هل تستطيع

إيقاف الأرض عن الدوران؟.. الأرض غاربة حتماً

يا صاح! والعمر راحل لا يستشرك! فتأمل! ﴿يَا

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا

فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق: 6). فإما لقاء المحبين؛ وإما

لقاء المخاربين!

نعم، أنت راحل لا اختيار لك! ولكن لك

أن تختار الاتجاه، ما بين معارج الدرجات ومهاوي

الدركات! أي ما بين طريق العالم العلوي، وطريق

العالم السفلي! فالأرض تدور بين شروق وغروب.

وإنما السعيد من حوّل الاتجاه إلى مشرق النور،

حيث الخلود الجميل.. فإذا السفر يتحول من

وحشة مظلمة إلى أنس عظيم بالله! ذلك طريق

النور، فافتح عينيك: وتدبر، ثم أبصر! فإنما هو:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: 35).

فاحرص أولاً على تحديد الاتجاه!

أما سلوكه فيكون بثلاثة أسباب تدخل

أبوابها، وثلاثة موانع تقطع حبالها!

فأما الأسباب فهي: الدخول في التقرب، وتذوق المحبة، وطلب الولاية. وبعضها وسيلة لبعض، ومحطتها الأخيرة على باب الفردوس الأعلى! فما كان لمن تقرب إلا أن يحب، وما كان للمحب إلا أن يكون محبوبا، وما كان للمحجوب إلا أن يكون وليا! وهنالك ينتصب حصن الله الحصين لوليه المحبوب، تسديدا وتأييدا، من قصده بالأذى - يا ويلاه! - كان من الهالكين! تلك خلاصة حديث الولاية القدسي، الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه، قال ﷺ: إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب! وما يتقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه؛ وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا

أحبه كتحب سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذه! (2) أما كيف تقرب؟ وكيف تتذوق المحبة؟ ليكون منهم؛ فبيانهم رهين بمتابعة خطوات الرحلة بهذه الرسالة، في قصة التعرف إلى الله، فلنتقدم!

أما الموانع فحبال تشدك إلى ثلاث فتن: فتنه النفس، وفتنة الشيطان، وفتنة الزمان. فالنفس أهواء توججها الشهوات، وللشيطان وسوسة لا تخنس إلا بذكر الله! وللزمان ظلمات بيوتها الإنسان؛ بما عبده من الهوى، وبما وسوس إليه الشيطان!

ولفتن هذا الزمان خصوص رهيب! فهل بقي شك في أننا نعيش الآن زمان تتابع الفتن، وتواتر الحن؟ على ما ورد في قول رسول الله ﷺ: تكون بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم! يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا! ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا! يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا! (3)

وهل بقي شك في أنه قد أطلت فتن بأعيانها وبأسماؤها، كما هي في حديث رسول الله ﷺ، من مثل (فتنة القطر) المذكورة فيما رواه أسامة بن زيد ﷺ: (أن النبي ﷺ أشرف على أطعم من أطام

المدينة (4). ثم قال: «هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم، كمواقع القطر»! (5)

لقد أبصر النبي ﷺ بعين الغيب - مما علمه الله - صورة من الفتن النازلة بالناس؛ من بعده ﷺ فشبهها بالمطر، إذ يعم بسقوطه كل شيء من البلاد والعباد! ورغم أن بعض شراح الحديث قد حققوا مناطه - اجتهدا - على فتنة الصدر الأول، من القرن الأول الهجري، وأولوه بما؛ إلا أن الأمر يبدو أكثر انطباقا على زماننا هذا! فالتعبير هنا في

4- الأطعم: بضمين، هو: كل حصن مبن على حجارة على أعواد مربعة، جمعه: أطام. وقد كانت هناك في عهد النبي ﷺ أطام بضواحي المدينة لحراستها.
5- متفق عليه.

هذا الحديث النبوي دقيق جداً! وعجيب جداً! وهو أشبه ما يدل على الخيوط الأثرية لأجهزة الإعلام المرئية والمسموعة، كالفضائيات والإنترنت، والهواتف الجوال، ونحو ذلك مما يث في الفضاء، ثم يتزل عبر الأقمار الاصطناعية على كل البيوت، وعلى كل العمران البشري في البر والبحر، وسائر القلوات، تماماً كزول المطر! على حد تعبير النبي ﷺ: إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم، كمواقع القطار! فمن إذن؛ ينجو من فتن كهذه؟ كيف وهي تطل على الناس كهبطول المطر؟ إن لم يصبك قطره، أصابك وحله! وإن لم يصبك من عل؛ أصابك من جانب، بل حتى من أسفل! مهما بالغت في الاحتراز والاحتياط!

ومن مثل فتنة (الأخلاس)، وفتنة (السراء)، وفتنة (الدُّهيماء)، وكلها مذكورة في حديث النبي ﷺ، الذي رواه ابن عمر قال: (كُنَّا قَعُوداً عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ الْفِتْنِ، فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا، حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَخْلَاسِ⁽⁶⁾، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا فِتْنَةُ الْأَخْلَاسِ؟ قَالَ: هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ! ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَاءِ⁽⁷⁾: دَخْنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمِي رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي! وَإِنَّمَا

⁶ - الأخلاس: جمع خلص، وهو لباس الثوب المبركة من الإبر والخيول ونحوها، مما يوضع تحت الرِّجَالِ. وهو في هذا الحديث كناية عن كثرة الجيوش والمقاتلين!

⁷ - السراء: هي ما يسرُّ الناس ويُفرِّجهم. والمقصود هنا الخساسة بظواهرها لا حقيقة، وإنما هي تستدرجهم بذلك إلى شر عظيم، والعياذ بالله!

أُولَئِكَ الْمُتَّقُونَ. ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوْرِكَ عَلَى صَلْبِ⁽⁸⁾. ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهيماء⁽⁹⁾: لَا تَدْعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمْتَهُ لَطْمَةً! فَإِذَا قِيلَ انْقَضَتْ تَمَادَتْ! يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا! حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ: فُسْطَاطِ إِيْمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيْمَانَ فِيهِ!

⁸ - الكورك: هو مؤخرة الإنسان مما يكون عليه الجنوس من مقعده. والصلب: هو عظم الصدر. والمقصود أن الناس في العالم بعد حرب واقتتال يهبطون على أن يخضعوا لحاكم معين، يجلس على كرسي أعوج كالضلع؛ كناية على هشاشة الاتفاق، وبذلك لا يدوم أمن الناس إلا قليلاً، حتى ينقلب عليه بعضهم؛ فتتطلق الفتن مرة أخرى!

⁹ - الدُّهيماء: تصغير دُهْمَاء، وهي الظلمة الشديدة. كناية عن خطورة تلك الفتنة وخطاعتها.

فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ! ⁽¹⁰⁾ فالفتنة الأخيرة من هذه الفتن المتعاقبة التي سماها رسول الله ﷺ بالدُّهيماء؛ كناية عن شدة ظلمتها واسودادها، وانتشار بلاتها، هي فتنة تستمر زمناً طويلاً، ما شاء الله! وهي فتنة عامة شاملة، لا تدع بادية ولا مدينة، ولا دولة، ولا إنساناً، من هذه الأمة الإسلامية؛ إلا أصابته بصورة أو بأخرى - والعياذ بالله - إصابة مؤذية مؤلمة! ولذلك قال: (لَا تَدْعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمْتَهُ لَطْمَةً!) وأنت إذ تقرأ هذه الأحاديث كلها - مما سبق وما سيأتي - تجد أنها تجمع على هذا

¹⁰ - رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم. وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: 4194

النوع من الفن العام الشامل الذي لا يمكن التحرز عنه! تماما كفتن الإعلام المحمل بالثقافات الغازية المدمرة، والملمع بريح العولمة اللاهية! لا يكاد لمبها يفتر فيظن الناس أنها حدثت؛ حتى تنطلق من جديد، في غزو جديد! تماما كتعاقب مراحل الاستعمار؛ بشق أنواعه وصنوفه ومستوياته، في القرون الأخيرة من التاريخ الحديث لهذه الأمة!

ثم تتفتق عبقرية الشيطان اليوم عن أسوأ ما عرفته البشرية من الفتن! في اختراق الشعوب، وضربها في أخص خصائصها، وفي جوهر هويتها! فلا يسهل دفع مثل هذا البلاء؛ لطبيعته (العولمية) الشاملة؛ ثقافيا، واجتماعيا، واقتصاديا، وتقنيا،

العظيم، مما ذكره الحق سبحانه في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين: 14)⁽¹¹⁾. أما الذين يبصرون بنور الله؛ فهم يقرؤون علامات ظهور الدجال كما يقرؤون ما كتبه بخط أيديهم!

ومن مثل ذلك ما ورد أيضا في قوله ﷺ: «ست من أشراط الساعة: موتي، وفتح بيت المقدس، وأن يُعطى الرجل ألف دينار فيتسخطها! وفتنة يدخل حرها بيت كل مسلم! وموت يأخذ

¹¹ - وقال النبي ﷺ في بيان ذلك (إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء! فإن هو نزع واستغفر وتاب؛ صقل قلبه. وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه! وهو الران الذي ذكره الله تعالى: "كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"). رواه أحمد، الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي. وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم: 1670.

وعسكريا! ولذلك قال الرسول ﷺ في وصف الدهريين المذكورة: (فإذا قيل انقضت سمات! يصبخ الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا!)

وهذا يؤدي - في نهاية المطاف - إلى افتراق الناس في العالم الإسلامي، إلى (فسطاطين) واضحين، أي: إلى طائفتين. كما في نص الحديث: حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ: فُسْطَاطُ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطُ نِفَاقٍ لَا إِيمَانَ فِيهِ. فماذا ينتظر المسلمون بعد ذلك؟ قال رسول الله ﷺ محييا في نهاية الحديث: فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانظُرُوا الدُّجَالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ! ذلك ما لا يراه الذين غشي الرآن بصائرهم! والرآن: هو (زفت) الذنوب والآثام، وجرائم التمرد على الله العلي

في الناس كقُعَاصِ الغنم!⁽¹²⁾ وأن يغدر الروم فيسيرون بثمانين بندا تحت كل بند اثنا عشر ألفا!⁽¹³⁾

فما هذه (العولمة) - التي تدمر البلاد والعباد اليوم! والتي هي ريح صهيونية في الصميم - إلا قطعة من فتن ذلك الليل، الموصوفة في الحديث السابق بأنها (كقطع الليل المظلم)!

إن الإنسان اليوم يفقد سكينه الإيمان، ويدخل في جحيم الخيرة، حيرة الضلال! لقد بدأت ريح العولمة فعلا تحتل الإنسان قبل احتلال

¹² - قُعَاصِ الغنم: بضم القاف، مرض يصيب الغنم يسببها إبادة، بصورة مفاجئة!

¹³ - رواه أحمد والطبراني، وصححه الألباني بصحيح الجامع الصغير، رقم: 3608.

الأوطان! فتجرده من كل قيم الدين، ومن كل مشاعر الخضوع لرب العالمين! إن فتنة هذا العصر تصنع الإنسان المتمرد على الله! هذا زمان إعلان الحرب على الله! فما ينتظر الإنسان غير غضب رباني شديد؟

إلا أن حديثنا ههنا عن الفتن ليس لذاتها، وإنما هو لبيان طريق المخرج منها. فقد كان بعض الصحابة يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ليتزودوا منه، وكان بعضهم يسأل عن الشر مخافة أن يدركه! والفقهاء في زماننا أن نسأل عن الخير الذي ينجي من الشر! وهو في الحقيقة موجود في المنهجين معا. فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير،

الفرق كلها! ولو أن تعض بأصل شجرة؛ حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك! (14)

فهذه التذُّر من ظلمات الفتن؛ بما هي علامات شر؛ هي كذلك علامات خير؛ لأن الله ما أباد جيلا إلا جاء بخير منه! قال عز وجل: ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا تُسْأَلُونَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد: 38) وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ. إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ غَابِدِينَ!﴾ (الأنبياء: 105-106).

إن الواجب عليك أيها المسلم أن تبادر إلى الفرار إلى الله قبل فوات الأوان: (فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ!

وكنيت أسأله عن الشر؛ مخافة أن يدركني! فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن! قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر! قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها! قلت: يا رسول الله! صفهم لنا! فقال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا! قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم! قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك

إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) (الذاريات: 50). وإنما الفرار إليه يكون بالتعلق بكتابه العظيم: القرآن الكريم؛ على سبيل السلوك إليه تعالى - كما بين بحول الله - لإدراك قوارب النجاة من فتن هذا الزمان! والوصول إلى بر الأمان من رضى الرحمن. فاعلم إذن! أن فتنة هذا العصر هي بداية خير جديد، وإعلان لبزوغ عصر القرآن! وظهور بعثة التجديدا فإما أن تتركب مع موكب الربانيين فتكون من الناجين؛ وإما أن تبقى مع المتخلفين؛ فتكون من الهالكين! وإنما (الربانيون) هم المتعلقون بالقرآن. قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران: 79).

وفي قضية النجاة والهلاك، قال رسول الله ﷺ: أبشروا.. أبشروا.. أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا القرآن سبب - أي: حبلٌ - طرّفه بيد الله، وطرّفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبداً! (15).

يا أيها الخيران!.. إن الله تعالى خلقك! فتذكر هذا جيداً! خلقك ولم تكن شيئاً مذكوراً! وبمقتضى ذلك تترتب على ذمتك حقٌ عظيم! هو

15- رواه ابن حبان في صحيحه، والبيهقي في شعبه، وابن أبي شيبة في مصنفه، والطبراني في الكبير، وعبد بن حيد في المنتخب من المسند، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: 713. نشر مكتبة المعارف بالرياض، لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الرشيد. طبعة جديدة بتاريخ: 1415هـ/1995.

حق الخالقية! فماذا أدبت الله تعالى منه؟ ذلك هو السؤال الذي على الإنسان - كل إنسان! - أن يرجع إليه؛ ليبدأ مسيرة التعرف إلى الله!

أما أنت أيها المسلم؛ فباعتبار أنه تعالى جعلك (مسلمًا). وتلك نعمة أخرى أعظم وأكرم؛ فما عليك إلا أن تبادر إلى حمل رسالة القرآن، في زمان تخلى الناس فيه عن القرآن، يا ويلهم!

هذا هو (ذِكْرُ) هذا الزمان، زمان الفتنة الصماء البكماء! فتذكروا! ثم تذكروا! عسى أن تكون من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات!

من أجل ذلك، كتبت هذه الرسالة الصغيرة؛ عسى أن تكون نبراساً عملياً، ودليلاً تطيقاً. يتم

بمقتضاه عقد الميثاق على الخير، وإبرام العهد على الصلاح والإصلاح؛ وعزم القصد على الانطلاق سيرا إلى الله جل جلاله، عبر مدارج الإيمان إن شاء الله. وهي وإن كانت تفيد - من وجه - في بيان منهج التزويل؛ فإنها لا تغني في بيان منهج التأصيل. إذ ليست موضوعة لذلك أصلاً. وإنما ورد فيها من ذلك ما ورد تبعاً، لا أصالة؛ إذ هي أشبه ما تكون بالذاكرة التي يرجع إليها السائر إلى الله؛ لتبين الكيفيات، وتحقيق المناطات، وترتيب الأولويات، من حيث التطبيق والتفويض لخطوات الصلاح والإصلاح.

أما تأصيل النظر فقد فصلناه في كتابنا (البيان الدعوي) (16)، وأما تأصيل العمل فقد بيناه في (بلاغ الرسالة القرآنية). وإنما استخرجت منه بعض هذه الرسالة الصغيرة قصداً؛ لتكون - مع الإضافات - (آلة إجرائية)؛ لتصريف العمل الديني في الواقع الإنساني.

وقد كان الغرض من تقديمها؛ أن تعرض بلاغات الرسالة القرآنية في صورة عهدٍ لوثّق مع الله عز وجل، ومع صالح المؤمنين، عسى أن يكون ذلك حافزاً على دوام المجاهدة والمصابرة والمراعاة في طريق بعثة التجديد لهذا الدين، في أنفسنا وفيمن حولنا من العالمين، نبقى على ذلك بحول

16- أرجو أن يطبع قريباً

الله حتى يأتينا اليقين! فتلقي الله - إن شاء الله -
مقبلين لا مدبرين، ثابتين لا مبدلين ولا مغيرين.
ذلك العهد وذلك ميثاقه.

ومن هنا جاءت هذه الرسالة -عدا تأصيل
العهد وميثاقه، والثاني: في عهد الذِّكْرِ، والثالث:
في عهد القرآن والقيام. ثم الرابع: في المختار من
الأذكار.

والله الموفق للخير والهادي إليه.

وكتبه بمكناسة الزيتون فريد بن الحسن
الأنصاري الخزرجي عفا الله عنه وغفر له ولوالديه
ولسائر المسلمين. الأحد: 21 ربيع الثاني 1424
هـ / 2003/06/22م.

الإحكام في الأمر، (...) وقد أوثقه ووثقته وإنه
لموثق الخلق. والموثق والميثاق: العهد. (...)
والموثقة: المعاهدة، ومنه قوله تعالى: "وميثاقه
الذي واثقكم به" (المائدة: 7) (...) والميثاق:
العهد، مفعول من الوثاق، وهو في الأصل: حبس
أو قيد يشد به الأسير والدابة⁽¹⁷⁾.

فالميثاق إذن: عهدٌ مُحْكَمٌ يشدك إلى
الدين قولاً وعملاً، ويلزمك بما التزمت به.
و تعبيرنا ههنا (بميثاق العهد)، إنما نقصد
به: توثيق ما نبرمه مع الله عز وجل من
التزام بأمور التكليف، ومن قيام بواجب
البلاغ، وإحكامه على قواعد تلخصها
فيما يلي:

¹⁷ - لسان العرب: (مادة وثق).

الفصل الأول: في تأصيل العهد وميثاقه

الميثاق في اللغة: العهد المُحْكَم. وميثاق
العهد: إبرامه وإحكامه. قال عز وجل: ﴿الَّذِينَ
يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ (البقرة: 26).
وفي اللسان: (الوثاقة: الشيء الوثيق المُحْكَم.
والفعل اللازم. يُوَثِّقُ وَثَاقَةً. والوثاق: اسم
الإيثاق، تقول: أوثقتُه إيثاقاً وَثَاقاً. والحبل أو
الشيء الذي يُوثَّقُ به وَثَاقٌ، والجمع الوُثُقُ. بمرلة
الرُّبَاطِ والرُّبُطِ. وأوثقته في الوثاق أي شده (...).
ووثقتُ الشيء توثيقاً، فهو مَوْثُقٌ. والوثيقة:

اعلم - هداي الله وإياك - أن التوبة إلى الله
عزيمة وإرادة، وأن النقلة من الصلاح إلى
الإصلاح مرابطة ومجاهدة. فتمني الصلاح غير
كاف للتحويل إلى صلاح، وتمني الإصلاح لن
يترتب عليه أي إصلاح! ولكن لابد لك من عزيمة
تعزمها، وعهد تقطعه على نفسك، وميثاق تبرمه
مع الله، تُشهد عليه الله عز وجل، وتشهد عليه
نفسك وصالح المؤمنين، الذين يُذَكِّرُونَكَ إذا
نسيت، ويساعدونك إذا فترت. وهذا المعنى
متأصل في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

فاستقراء النصوص يفيد بأن كثيراً من جلائل
الأعمال في الإسلام كانت تبنى على عهد، وتوثق
بميثاق، يكون ربطة في عتق المسلم، فإما وفاء بعد

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
وإما نقضاً! فالدين نفسه في كليته عهد، يوثقه
المسلم بإقراره أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول
الله ﷺ. ومن هنا فقد كان رسول الله ﷺ يأخذ
العهود والمواثيق من الناس، ويذكرهم بذلك إذا
نسوا، أو فتروا. وربما اشترط على بعضهم في
ذلك ما لم يشترطه على غيره. كما في الحديث
المتفق عليه: عن جرير بن عبد الله ﷺ، قال:
(بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء
الزكاة، والنصح لكل مسلم)⁽¹⁸⁾. وفي رواية
لأحمد والطبراني بسند صحيح، أنه قال: (فاشترط
علي: "والنصح لكل مسلم!" فورب الكعبة إني

18 - متفق عليه

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
لكم ناصح أجمعين!)⁽¹⁹⁾. وقيل لسلمة بن الأكوع
ﷺ: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم
الحديبية؟ قال على الموت! ⁽²⁰⁾ ولد صيغة
أخرى أبين، وهي: عن يزيد بن أبي عبيد، عن
سلمة ﷺ قال: بايعت النبي ﷺ ثم عدلت إلى ظل
الشجرة، فلما خف الناس قال: يا ابن الأكوع ألا
تبايع؟ قال: قلت: قد بايعت يا رسول الله! قال:
وأيضاً! فبايعته الثانية. [قال يزيد:] فقلت له: يا
أبا مسلم، على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ؟
قال: على الموت! ⁽²¹⁾

19 - رواه أحمد والطبراني بسند صحيح.

20 - متفق عليه

21 - متفق عليه

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
والمقصود بالبيعة على الموت إنما هو عدم
الفرار في الحرب! لقول البخاري في كتاب الجهاد،
في ترجمة: (باب البيعة في الحرب أن لا يفروا وقال
بعضهم على الموت). وقد جاء مفسراً في حديث
معقل بن يسار ﷺ، قال: لقد رأيتني يوم الشجرة
والنبي ﷺ يبايع الناس، وأنا رافع غصنا من
أغصانها عن رأسه، ونحن أربع عشرة مائة. قال لم
نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا
نفر ⁽²²⁾. وفي حديث عبد الله بن عمر رضي
الله عنهما قال: بل بايعهم على الصبر ⁽²³⁾.
وكل ذلك إنما هو تفسير لما قصده سلمة بن

22 - رواه مسلم.

23 - رواه البخاري.

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
الأكوع من أنه بايع النبي ﷺ على الموت، ولا
تعارض بين الحديثين كما قال ابن حجر.
ولذلك وجد من بايع النبي ﷺ أكثر من مرة
- كما هو ظاهر الأحاديث المذكورة وغيرها -
تكون البيعة الأولى هي بيعة الإسلام، ويكون ما
بعدها على بعض جلائل الأعمال. وإنما المقصود
بالبيعة على هذا المعنى الثاني: إبرام عهد مع الله
على عمل معين سواء كان مؤقتاً كما في يوم
الحديبية الذي آل إلى الصلح، أو دائماً كما في
النصح لكل مسلم.

وقد أخذ رسول الله ﷺ من الأنصار (بيعة
العقبة الأولى) و(بيعة العقبة الثانية)، وأخذ منهم
ومن المهاجرين (بيعة الرضوان) يوم الحديبية، التي

نزل فيها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾

(الفتح: 18). وكان رسول الله ﷺ يأخذ من المسلمين (بيعة الإسلام). وقد أخذها ﷺ من آحاد المهاجرين وجموعهم، كما أخذها من الطلقاء، ومن مسلمة الفتح عموما، ومن كل من وفد عليه مسلما، رجالا ونساء.

و(بيعة الإسلام) هذه هي التي جعلها الله نص امتحان المهاجرات، كما جاء في سورة الممتحنة، وكانت تسمى (بيعة النساء)، وذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ

وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِهَتَّانِ يَفْتَرِيَنَّهُ بَيْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ قَبَائِعَهُنَّ وَاسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الممتحنة: 12).

ثم جعل النبي ﷺ بعض أركان الإسلام علامات على استمرار العهد وعدم نقضه. فقال في الصلاة مثلا: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة) (24).

24 - رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان وأبو داود بريدة وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (11/431) وتضمن الحديث: (فمن تركها فقد كفر) وقد علم أن ليس المقصود بالكفر هنا كفر الاعتقاد، وإنما هو الكفر العملي، الذي هو ضرب من العصيان المشابه لأعمال الكفار.

ومن هنا كان الدين ميثاقا وعهدا؛ فقد ألزم المولى جل وعلا الرسل والأنبياء بالميثاق الذي واثقهم به، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا. لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الأحزاب: 7-8). كما ألزم به أمة المسلمين فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (المائدة: 7). وقال سبحانه وتعالى مذكرا الناس أجمعين: ﴿أَلَمْ أَعْهِدْ لَكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾

(يس: 60-61). وخطب هذه الأمة في خصوصها فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: 34).

وذهب من نقض العهد والميثاق فقال جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (الرعد: 25). فذلك كان سبب هلاك بني إسرائيل. قال عز وجل: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (المائدة: 13). العهد أو الميثاق، أو ميثاق العهد؛ باب عظيم من أبواب التوبة إلى الله عموما، ومدرج من

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
مدارج الدعوة، والسير إليه تعالى عبر مراتب
الصالح والإصلاح خصوصاً. وعدم اكتراث
المسلم به يقوده إلى الشرود بعيداً عن باب الله،
بل أن يكون من المصلحين! فالعهد هو أول
مدارج السالكين، ومبتداً منازل السائرين إلى رب
العالمين.

ولقد جمعت لك أيها الخب معلم ذلك كله
في كتابنا: (بلاغ الرسالة القرآنية، نحو إحصار
لآيات الطريق). فبسطنا لك فيه منهجاً تربوياً،
متدرجاً، مؤصلاً بأدلته وقواعده؛ في كتاب الله
وسنة رسول الله ﷺ. ولم نخرج بك في كل ذلك
عن المعلوم من الدين بالضرورة؛ على ما رأيناه من
منهجية تربوية، ومن رعي لميزان الأولويات

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
الشرعية، على ما يقتضيه تحقيق مناط الدين في
الزمان والمكان.

وهذه رسالة مختصرة يسترشد بها أصحاب
البدايات، ويتذكر بها أصحاب النهايات. ومن ذا
يستغني عن ذكر الله، والسير إلى تحصيل رضاه؟
فلا بد لك أيها الخب لطريق النور، إن
تجردت فعلاً لبعثة التجديد والبلاغ القرآني؛ من
أوراد عملية وقولية تربطك بميثاقلك، وترسخ
وفاءك لعهدك. تماماً كما كان الأنبياء والصديقون،
والرbanيون المجددون. وإنما أولئك هم العاملون
الذين تنفع بهم الأمة. وأما القائلون وكفى؛ فهم
في الناس كعد الحصى، ولكنهم غطاء كغشاء
السل!

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
وكما بُعث رسول الله ﷺ بالقرآن آية آية؛
بصائر للناس، وهدى للعالمين؛ وجب عليك إذا
تحققت عزمك أن تنطلق بالقرآن، ومن القرآن،
في بعثة التجديد آية آية! تتبصر وتبصر، وتعرف
وتعرف، وترجم أخلاق النبوة حركة فطرية في
المجتمع. حركة يكون المسجد مقرها، والقرآن
العظيم دستورها والرسول ﷺ رمزها وقائدها،
والدعوة إلى الخير جهادها. بعيداً عن ضيق
المنظمات، وأسر الانتماءات!

وإنما ذلك هو من المعلوم من الدين
بالضرورة كما ذكرنا. وذلك هو أساس الورود
التربوي لرسالة القرآن، فهل أخذت عليه عهدك
وعقدت عليه ميثاقلك؟ أم أنك تعرفه فقط كما

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
يعرف أهل الكتاب كتابهم، إذ طال عليهم الأمد؛
﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ
وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: 16). ذلك
المنطلق، إن أردت فعلاً أن تسلك سبيل الصالحين
المصلحين، وإنما الموفق من وفقه الله.

تبصرة: كيف نوثق العهد؟

سل نفسك أولاً:

هل حقاً تريد البدء أم أنك تمني فقط؟ هل
عزمت عزمك لتوثيق التوبة، وإعلان الانطلاق
في مدارج المجاهدة؛ سيرا إلى الله مع الصالحين
المصلحين؟ أم أنك ما تزال متردداً بأجراح

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
الشيطان، سماعاً لوساوسه؟ لا يكون لك بدءٌ يا
صاحبي، ولا لبدئك أثرٌ حتى تحب نفسك عن
نفسك! وتحقق ذلك معها، وتعرف بالضبط ماذا
تريد!

فأخسِم نيتك في نفسك مع الله أولاً! وإلا
فلن ترح مكانك! ولن تستطيع مغادرة طينك.
وتبقى هنالك، وقد انطلقت قوافل الرُكع السُّجَّد
بعيدا، تضرب نحو باب الرضى الرباني العظيم!
وخلفتك وراءها وحيدا، ضالا بمتاهات الدخان،
تدور في ذرِك الخطايا والآثام! وقد سبق
المفردون: الداكرون الله كثيرا والذاكرات! (25)
فأين أنت أيها المتمني؟

25 - رواد مسلم

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
تلك قوافل المسترشدين الراشدين قد
انطلقت؛ يقودها - إلى الله - محمد رسول الله ﷺ؛
سائرا بكل من (صحة). وإنما معه الذين حققوا
(المعية النبوية)! وهم أصحاب الميامين ثم
تبعهم من إخوانه المحجلين! اقرأ هذه الآية
البصرة؛ لنقول لك بعدها كلمة! قال تعالى:
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى
الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ. تَرَاهُمْ رُكُوعًا سَاجِدًا يَبْتَغُونَ
فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا. سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ
أَثَرِ السُّجُودِ. ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ. وَمَثَلُهُمْ فِي
الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ
فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ. يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمْ

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
الْكُفَّارِ. وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مُّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: 29).
تدبر الآية كلها أولاً! ثم خص بتدبرك
عبارة: (وَالَّذِينَ مَعَهُ).. إنهم أهل (المعية النبوية)
أهل (السِّمَى)! والسِّمَى، أو السيماء: العلامة
الدالة على معنى. فهم إذن: الربانيون، أصحاب
علامة الرضى من أثر السجود!

وليست (المعية) ههنا هي المعاصرة الدنيوية.
فقد عاصره كثير من الكفار والمنافقين. وكان
المنافقون معه؛ لكن ليس بمعنى المعية النبوية
الاتباعية! وإنما (صحة) الربانيون! ولذلك دخل
في معنى الآية إخوانه أيضا. وإخوانه: هم كل من
آمن به من أمته ﷺ ولم يره، وكان من الصادقين!

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
وذلك قوله ﷺ: وددت أني لقيت إخواني!
قالوا: يا رسول الله، ألسنا إخوانك؟ قال: بل أنتم
أصحابي وإخواني: الذين آمنوا بي ولم يروني! (26)
وفي رواية أخرى مفصلة قال ﷺ: وددت
أنا قد رأينا إخواننا قالوا: أو لسنا إخوانك؟ قال:
بل أنتم أصحابي وإخواننا: الذين لم يأتوا بعد.
قالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟
قال: أرايت لو أن رجلا له خيل غرٌّ مُحَجَّلَةٌ، بين
ظَهْرِي خَيْلٍ ذَهَبٍ بَيْهَمٍ (27)، ألا يعرف خيله؟ قالوا:
بلى! قال: فإنهم يأتون يوم القيامة غرًّا مُحَجَّلِينَ

26 - رواد أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير

7108

27 - عر: جمع غرٍّ، والغرّة: باضٌ على جهة الحصان الأسود أو
الأحمر، أو نحو ذلك من ذوات الألوان الداكنة، من غير
البياض، والنحجيل: باض يكون على قدميه، والبيهيم: جمع
أبيهم، وهو في الخيل: الحصان ذو اللون الواحد، من كلمة أو
سواد أو نحوهما، غير مشوب بشيء غير لونه ذلك. وأبيهم:
جمع أذهب، وهو ذو اللون الأسود الشديد السواد.

الفصل الثاني: في عهد الذكر

نستهل هذا الفصل ببصيرتين من كتاب الله تعالى، هما دلالة النور للقلب السالك في ظلمات الحيرة والتهيه. فاقرا وتدبرا ولا تعجل حتى تستكمل شعاع النور!

فأما أولاهما فهي قول رب العزة جل وعلا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال: 2). هذه بصيرة من بصائر القرآن، ذات مسلك عجيب في التعرف إلى الله. فاسأل نفسك أين أنت منها؟ أو - بعبارة

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله من الرضوء، وأنا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ! أَلَا لِيَذَازَنَّ رَجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يَذَازُ الْبَعِيرُ الضَّالَّ! أَنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمُّ! أَلَا هَلُمُّ! فَيَقَالُ: إِنَّمَا قَدْ بَدَلُوا بَعْدَكَ! فَأَقُولُ: سَحَقًا! فَسَحَقًا! فَسَحَقًا! (28)

ذلك العهد! فذلك ميثاقه، وذاك نقضه! هو عهد إذن؛ نقطعه على أنفسنا لله وحده، مخلصين له الدين إن شاء الله، سائرين إليه تعالى على طريق الإيمان رَغْبًا وَرَهْبًا. معتصمين بكتابه وبسنة نبيه ﷺ استجابة لبلاغات القرآن العظيم، وقيامًا بأمرها. وأما باب الدخول إلى ذلك تطبيقا وتحقيقا؛ فهو أعمال وأقوال. وبيان ذلك هو كما يلي:

تبصرة: في أن الذكر هو مسلك المُفْرَدِينَ السَّابِقِينَ!

الذكر هو مفتاح البصرة! هل تريد أن تكون من المبصرين؟ هل تشاق إلى مشاهدة الأنوار الربانية؟ وهي تتدفق من بصائر القرآن، لتشمل الكون كله! نعم؛ إذن أذكر الله كثيرا! ولا حَظَّ في السبق إلى ذلك لمن غفل عنده! اقرأ هذا الحديث النبوي الشريف وتدبر! عسى أن تكتشف سرَّ السير إلى الله.. قال رسول الله ﷺ: سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ! قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات (29).

أخرى أكثر تفصيلا - أسأل: ماذا تعرف عن الله؟ وما منزلة قلبك بين الخوف والرجاء؟ فإما أن القلب ينعم بجمال (الوجل)، كلما استنار بجلال التعرف إلى الله؛ وإما: ﴿قَوْلٌ لِّلنَّاسِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْثَرُكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الزمر: 22). وأما الثانية فهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: 36). وذلك طريق من لم يعرف نور الذكر إلى قلبه مسلكا! فإني يكون من المبصرين؟ ولك الآن أن تسأل: كيف الخروج إلى مسلك النور؟ كيف التخلص من غفلة الغشوة عن ذكر الرحمن؟ ثم كيف يكون تحصيل القلب الوجل من ذكر الله؟

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
وكيف لمن ذكره الله في ملئه الأعلى ألا يكون من
السابقين؟ وإنما هو شرط واحد، وعهد واحد!
ذلك قول الله تعالى في محكم القرآن العظيم:
﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾
(البقرة: 152). وكانت مهمة موسى وأخيه هارون
من أثقل العزائم في تاريخ الرسالات قبل نبينا
محمد ﷺ! إنها دعوة فرعون! ذلك الطاغية الذي
قال في الناس: أنا ربكم الأعلى! وإنما كان زاد
موسى وأخيه في طريقهما إليه: ذكر الله! ومع
ذكر الله يتضاءل الجبل حتى يكون مثل حصة!
قال عز وجل: ﴿أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا
نَبِيَّ فِي ذِكْرِي. أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ. فَقُولَا
لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ. قَالَا رَبَّنَا إِنَّا

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
تُخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ. قَالَ لَا تَخَافَا
إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ (طه: 42-46).

إن المَعِيَّةَ الربانية كانت حاصلة مع
الاستمرار في الذكر، وعدم الفتور منه: ﴿وَلَا تَبْيَا
فِي ذِكْرِي﴾! والمَعِيَّةُ كفاية الله العبد في الدنيا
والآخرة! وإنما هي حال المقربين السابقين، من
الملائكة والأنبياء والصديقين! ألم يقل عز وجل في
حق الملائكة العنصرية: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا
يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء: 20). لا يفترُونَ!

وهي معية تحبيب وتقريب، قال النبي ﷺ في
الحديث القدسي: يقول الله تعالى: أنا عند ظن
عبيدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في
نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه
ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن
أتاني بمشي أتيته هرولة⁽³⁰⁾. فليس عبثاً إذن؛ أن
يكون الذكر أفضل - في بعض مراتبه - من إنفاق
الذهب والفضة، بل من الجهاد في سبيل الله!
وذلك نص الحديث العجيب الذي رواه الصحابي
الجليل أبو الدرداء ؓ، قال: (قال النبي ﷺ: «أَلَا
أَتَبِّحُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ،
وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ
الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ
فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا بَلَىٰ،
قَالَ: ذَكَّرُ اللهَ تَعَالَى!» فقال معاذ بن جبل ؓ: ما

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
شيء أُنَجَّى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ! ⁽³¹⁾
وهذه مرتبة خاصة من الذكر سيأتي بيانها بحول
الله.

تلك هي القصة إذن! وتلك هي الطريق،
فأين الذاكرون؟ أين حصتك من الذكر صباحاً؟
وأين هي حصتك مساءً؟ ألم يقل الله تعالى للمؤمنين:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا
وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الأحزاب: 41-42)
وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ
الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ

³¹ - رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني في

صحيح الترمذي: 139/3 وصحيح ابن ماجه: 316/2

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩٠-١٩١﴾ (آل عمران: 190-191). وما زال رسول الله ﷺ يوصي بالتزام الذكر ومداومته عسى أن يكون المؤمن من المتشبهين! فعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيء أتشبّث به! قال: لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله ⁽³²⁾. هكذا (رطباً)، كأنما هو بقلّة، أو زهرة، أو ثمرة، تستمد

32 - رواه أحمد والترمذي، وابن ماجة وابن حبان والحاكم عن عبد الله بن بسر، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: 7700.

الماء من نبع دائم يفيض بالحياة! والذكر حياة الروح. وكأنما اللسان جدره الممتد إلى الغدير. أين أنت يا أخي من ذلك كله؟ كلمة واحدة نقولها لك، فانظر ماذا ترى! كلمة واحدة ولن نزيد: (سَبِّحْ الْمُرَدُّونَ!).. وإنما الحكم بين المتنافسين هو الطريق!

تبصرة: كيف نذكر الله؟

لا يكون لك انطلاق حقيقي إن لم تحقق هذا الأمر أولاً، وهو جواب: كيف يكون الذكر؟ ما طبيعته؟ ما مادته؟ ما ظروفه؟ ما مسلكه؟

ذكر الله عبارة عن غداء تعبدية تنتفع به النفس، وتقوى على السير إليه تعالى. وبدونه قطعاً لا يكون شيء! لا سير ولا وصول! وإنما أعمال الإسلام كلها ذكر: بدءاً بالإقرار بالشهادتين حتى الصلاة والصيام والزكاة والحج، وما تفرع عنها جميعاً من صالح الأعمال، سواء في ذلك الواجبات والنوافل. وعلى هذا يحمل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: 36). وقوله:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى. قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا. قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ (طه: 124-126).

فالذكر هنا هو الإيمان والإسلام. وإنما سمي ذكراً؛ لأنه إقرار بما عهد الله إلى بني آدم في عالم الذر من التوحيد، وبما طبع عليه فطرتهم من الإيمان، السابق إلى النفس ابتداء. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَيَّ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدْنَاهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: 172). وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ أَعِثُّ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
عَبُدُوا مُبِينٌ. وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ
(يس: 60-61).

وهذا المعنى لم يكن الدين كله إلا (ذِكْرًا) ولم تكن مهمة الرسل إلا (تذكيرا)، تذكيرا بالعهد الأول، الذي أخذه الله على بني آدم في الوجود النفسي من عالم الغيب. وهذا المعنى أيضا لم يكن الرسول - أي رسول - إلا (مُذَكِّرًا)؛ ولذلك قال تعالى محمد ﷺ بأسلوب الحصر هذا: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (الغاشية: 21).

والناس عندما يتذكرون حقيقة وجودهم، وطبيعته الابتلائية؛ يشرعون في العودة إلى خالقهم عبر مدارج الدين. فالْمُؤْمِنُ الْحَقُّ هو الذي يذكر هذه الحقيقة؛ فلا يغره الرخاء، ولا تزلزله المصيبة.

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
بل إنه عند المصيبة يتقوى بهذه الحقيقة: العودة إلى عالم الغيب الذي منه كان البدء. وتلك هي كلمة: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، التي تقال عند وقوع البلاء. قال عز وجل: ﴿وَلَتُبْلَوُنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: 155-157).

لكن قد يطلق لفظ (الذِّكْر) في الشرع بمعنى أخص، فيقصد به: ما شرعه النبي ﷺ من العبادات القولية، أو اللسانية، التي يرددها العبد في أوراده اليومية، ويستحرك بها لسانه، تسيحا

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
وتحميدا، وتخليلا، وتكبيرا، ونحو ذلك. وهو المراد - مما سبق إirاده - من قول رسول الله ﷺ، فيما رواه الصحابي الجليل عبد الله بن بسر ؓ: أَن رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ! قَالَ: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ!

إلا أن هذا المعنى الخاص لا يخرج عن المعنى الكلي الذي يراد به تذكّر الحقيقة الإيمانية الكبرى، التي هي مناط الدين كله، والراجعة إلى توحيد الله في ربوبيته وألوهيته. فوظيفة الذكر بهذا المعنى الخاص هي تجديد معنى الإيمان في النفس، وترسيخها عليه، وترقيتها بمدارجه ومراتبه؛ حتى

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
تكون من أهل البصائر، ومشاهدة الحقائق في الآيات القرآنية والكونية⁽³³⁾.

33 - لا يجوز للمسلم الذي صحت عقيدته؛ أن يغار في القول بالمشاهدات، بما يخالف أصول العقيدة؛ كالذين يعتقدون بأن الذكر يكشف حجب الغيب للإنسان ليقرأ في اللوح المحفوظ؛ فهذا من الموروثات عن ترهات أهل الخرافات، وأباطيل الشطحات. وقد أجمع العارفون المحققون على ألا حقيقة إلا ما صدر عن مشكاة الشريعة، منضبطا بضوابط العقيدة الصحيحة؛ وإنما الموفق من وفقه الله.

وأما اللوح المحفوظ فهو ديوان الغيب والقضاء والقدر. فلا أحد من الأنبياء زعم علينا أنه يقرأ فيه. إلا ما جاء وحيا معارفا! وقواطع القرآن فاطعة لكل جدل عقيم! قال سبحانه يخاطب نبيه محمدا ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّمَا أَنبِئُكُمْ بِالْوَعْدِ﴾ (الأنعام: 50)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ (آل عمران: 179) وقال أيضا: ﴿قُلْ لَا أَعْلَمُ مَنْ فِي

وقوله ﷺ في الحديث المذكور: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ دَالٌ عَلَى الاستمرار، فعبرة (لا يزال) تدل - في العربية - على بقاء ما

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبِ إِلَا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (النمل: 65) وغاية ما ثبت عن النبي ﷺ من ذلك أنه سمع صوت أعلام الملائكة الذين يستنسخون من النوح المحفوظ! نعم سمع ولم يرا! هذا ما صح به الحديث. فقد أخرج البخاري أنه قال: (عُرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأعلام). فعجبا أن يطلع أحد من أمة محمد ﷺ على ما لم يطلع عليه محمد نفسه! أليست هذه دعوى عريضة، هي أكثر غلوا من دعوى النبوة؟ فافرا وتدبرا ثم نبين!

وأما كشوفات المؤمن ومشاهداته فإنما غايتها تبصُر حقائق الكون والقرآن في النفس وفي المجتمع. وكفى بها حقيقة عظيمة! تملأ القلب وتعمر الوجدان؛ ولكن (لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) (ق: 37).

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله والاستحضار: مطالعة الروح لمقاصد العبارات من الأذكار والآيات، وتبين آثارها في النفس، وتتبع مشاهدتها في الكون؛ تفكرا وتدبرا. وذلك معنى حديث النبي ﷺ عن (الإحسان): أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك! (35) أما ترديد الآيات، وترجيع العبارات بلسان غير موصول بالقلب؛ فعمل عديم الفائدة. وما الذكر إن لم يكن تذكرا لغائب المعاني، وشارد المقاصد؟ تذكر ماذا إذن وتشاهد؟ كيف تبصر وأنت تلقي بالكلمات في تيه العمى! لا بد من مطابقة التعبير للتفكير، وإلا فلا ذكر!

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله دخلت عليه، وتحكم بدوامه. وإنما قال ﷺ ذلك؛ لأن النفس في سيرها إلى مولاه - بعد إيمانها وصلاحتها - قد قتل وتفتت، أو تصيبها الوحشة، أو قد تغفل؛ فتشرد وتضل وتضطرب؛ فتحْتَاج إلى تذكير دائم يجدد لها إيمانها ويزكيه؛ حتى تطمئن أحوالها؛ ومن هنا قوله تعالى في هذه الآية اللطيفة العجيبة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28). وقول النبي ﷺ: مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ! (34).

فالدُّكْرُ إذن: حضور واستحضار. فالحضور: حضور القلب بين يدي الله تعالى عابدا متبتلا.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله ولك أن تشاهد أحوال من سماهم الله تعالى بأولي الألباب: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: 191) ذلك قلب العبد المحب له واردان اثنان: لسان يتذكر وذهن يتفكر! وبهما معا تفتح له نوافذ المشاهدات ملء الكون! فكل كلمة من الدُّكْر تنساب على اللسان هي سفينة فضائية، تحملك غُرُوجاً إلى الرحمن، عبر ملايين الأفلاك والنجوم، فتخترق بك الطبقات تلو الطبقات، من المدارات والفضاءات! فأعظم بها سياحة الذاكرين! في رياض الملوك والملوك!

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
هنا إذن؛ نحضر أهمية مجالس القرآن، حيث
تنفع المذاكرة والمدارسة في تلقي منهج التفكير
والتدبر؛ فاسلك مجلس الذاكرين الربانيين،
وادخل مدرسة البصائر، وتعلم كيف تتذكروا إن
كلمة واحدة من التسييح، أو التهليل، أو التكبير؛
لكفيلة بأن تلقي بك في فضاءات أخرى: تبعد عن
كوكب الأرض بملايين السنين الضوئية! وتدبر
هذا الحديث النبوي العجيب: وعليك بذكر الله
تعالى وتلاوة القرآن؛ فإنه روحك في السماء،
وذكرك في الأرض⁽³⁶⁾ فأركب سفينة الذكر يا
صاح ثم انطلق!

³⁶ - رواه أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وحسنه
الألباني. انظر حديث رقم: 2543 في صحيح الجامع.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
ثم يحسن بك أيضا أن تقرأ ما أوردناه
بالموامش - أسفله - من تأصيل عن النبي ﷺ، في
فضل الآيات المعينة، وصيغ الأذكار البوية
المختارة؛ فهو من خير ما يساعد المؤمن على
استحضار مقاصد الذكر عند كل عبارة.
ولك في هذه الإشارات - إن شئت -
بدايات. وذلك من أجل تبين مسلك تطيقي
للذكر. ولنجعله على قسمين: الأول ذكر قرآني،
وهو في بيان كيفية الاشتغال بالقرآن باعتباره
(ذكرًا). والثاني: ذكر نبوي، وهو بيان منهج
التعامل مع الصيغ السنية في ذكر الله تعالى.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
تبصرة: في مسلك الذكر القرآني:

القرآن العظيم رأس الذكر، ومفتاح الذكر،
وتاج الذكر. بل القرآن هو الذكر! قال سبحانه:
﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا
سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ. وَمَا هُوَ إِلَّا
ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (القلم: 51-52).

والقرآن أيضا به يكون الذكر! قال سبحانه:
﴿إِصْرَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (ص: 1). والفتنة
حينما يطوف بها الشيطان في كل مكان؛ يعمي بها
البصائر، فيحفظ الله الذاكرين! قال سبحانه: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا
فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: 201).

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
**الإشكال الآن هو: كيف نحصل الذكر
بالقرآن؟**

هذا هو السؤال الأهم الآن؛ لأنه ليس كل
قارئ للقرآن هو بذاكر!

تبصرة: في أخذ القرآن بمنهج

(التلقي)

كثيرون هم أولئك الناس الذين يتلون القرآن اليوم، أو يستمعون له على الإجمال، على أشكال وأغراض مختلفة. ولكن قليل منهم من (يتلقى) القرآن!

وإنما يؤتي القرآن ثمار الذكر حقيقة لمن تلقاه! وإنما كان رسول الله ﷺ يتلقى القرآن من ربه. قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل: 6).

ولا يزال القرآن معروضا لمن يتلقاه، وليس لمن يتلوه فقط! وما أدق وأجمل كلمات الشاعر الباكستاني محمد إقبال في هذا! إذ قال رحمه الله:

تجلى النور فوق الطور باقي

فهل بقي الكليم بطور سيناء؟

والتلقي في اللغة: هو الاستقبال عموماً. كما في قول الله تعالى: ﴿لَا يَخْزِيهِمُ الْفَرْغُ الْأَكْبَرُ وَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء: 103) (37).

وأما تلقي القرآن: فهو استقبال القلب للوحي. إما على سبيل النبوة، كما هو الشأن بالنسبة للرسول ﷺ. على نحو ما في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل: 6). إذ لقي الله عليه القرآن بهذا المعنى! وما فسره الراغب الأصفهاني من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا

37- انظر ذلك مفصلاً في مفردات الراغب، مادة: (لقى).

وبيان ذلك أن المسلم يتعامل مع القرآن تلاوة واستماعاً على أنه (تزيل)، وليس فقط على أنه (إنزال). فقد فرق علماء القرآن بين (التزيل) و(الإنزال)؛ على اعتبار أن الإنزال: هو ما وقع من نزول القرآن من لدن الله تعالى، إلى السماء الدنيا. وهو ما حصل في ليلة القدر. كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: 1). وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ (الدخان: 3).

وأما التزيل: فهو ما وقع من نزول القرآن في الناس، على وقائع معينة في التاريخ، تعالج قضايا النفس واجتماع. وهو ما قصده العلماء بمعنى نزول القرآن (مُتَجَمِّاً): أي مفزقاً على

سَنَلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (المزمل: 5) قال رحمه الله: (إشارة إلى ما حُمِّلَ من النبوة والوحي!) (38).

وإنما أن يكون (تلقي القرآن) بمعنى: استقبال القلب للوحي، على سبيل الذكر. وهو عام في كل مؤمن أخذ القرآن بمنهج التلقي على ما سنبينه بعد بحول الله. فذلك المنهج هو الذي به تبعث حياة القلوب. لأنها تتلقى آنذا القرآن (روحاً) من لدن الرحمن. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا. مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ. وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا. وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: 52-53).

38- المفردات، مادة: (لقى).

آيات، تنزل عند الحاجة لتعالج هذه الآفة أو تلك، أو لتؤسس هذا الحكم أو ذاك، في عملية بناء الإنسان؛ وعمران الوجدان، التي استمرت طيلة فترة نزول الوحي في المجتمع الإسلامي النبوي. وذلك هو المذكور مثلاً في قول الله تعالى: ﴿لَحْمَ تَنْزِيلٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: 1-3). فالتنزيل: تفريق القرآن آيات، آيات - لما ذكرنا - عند نزوله على قضايا الناس. وقد ذكر الله سبحانه المعينين معاً بشكل واضح، في سورة الإسراء، من قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ

لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (الإسراء: 105-106).

ومن هنا قال الراغب الأصفهاني: (الفرق بين "الإنزال" و"التنزيل" في وصف القرآن والملائكة: أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقاً، ومرة بعد أخرى. والإنزال: عام. (...). وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة: 185)، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: 1)، إنما خص لفظ (الإنزال) دون (التنزيل)؛ لما روي: (أن القرآن نزل دفعة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نزل نجماً فنجماً). أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُكَةٍ﴾، قال: أنزل القرآن في

ليلة القدر، ثم نزل به جبريل على رسول الله نجوماً، بجواب كلام الناس⁽³⁹⁾.

(وتلقى القرآن) بمعنى استقبال القلب للوحي، على سبيل الذكر؛ إنما يكون بأخذه - فضلاً عن كونه إنزالاً - على أنه تنزيل. حيث يتعامل معه العبد، ويتدبره آية، آية، باعتبار أنها تنزلت عليه لتخاطبه هو في نفسه ووجدانه، فبعث قلبه حياً في عصره وزمانه! ومن هنا وصف الله تعالى العبد الذي (يتلقى القرآن) بهذا المعنى؛ بأنه (يُلْقِي) له السمع بشهود القلب! قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: 37). ذلك هو الذاكر

³⁹ - مفردات غريب القرآن، مادة: (نزل).

حقاً، الذي يحصل الذكوى ولا يكون من الغافلين.

أن تتلقى القرآن: معناه إذن؛ أن تصغي إلى الله يخاطبك! فبصر حقائق الآيات وهي تنزل على قلبك روحاً. وبهذا تقع اليقظة والتذكر، ثم يقع التخلُّق بالقرآن، على نحو ما هو مذكور في وصف رسول الله ﷺ، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، لما سئلت عن خلقه ﷺ؛ فقالت: كان خُلُقُهُ الْقُرْآنُ! ⁽⁴⁰⁾.

وأن تتلقى القرآن: معناه أيضاً أن تنزل الآيات على موطن الحاجة من قلبك ووجدانك! كما يتنزل الدواء على موطن الداء! فأدام الله لما

⁴⁰ - رواه مسلم.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
أكل هو وزوجه من الشجرة المحرمة؛ ظهرت
عليهما أماراة الغواية؛ بسقوط لباس الجنة عن
جسديهما! فظل آدم عليه السلام كئيها حزينا. قال
تعالى: (فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ. وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ
فَغَوَى) (طه: 121). ولم يزل كذلك حتى (تلقى)
كلمات التوبة من ربه فتاب عليه؛ فكانت له
بذلك شفاءً! وذلك قوله تعالى: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ
رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)
(البقرة: 37). فهو عليه السلام كان في حاجة شديدة إلى
شيء يفعله أو يقوله؛ ليتوب إلى الله، لكنه لا
يدري كيف؟ فانزل الله عليه - برحمته تعالى -
كلمات التوبة؛ ليتوب بها هو وزوجه إلى الله

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
تعالى. وهي - كما يقول المفسرون - قوله تعالى:
(قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا
لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (الأعراف: 23) فيمجرد
ما أن نزلت الآيات على موطن الحاجة من قلبه؛
حتى نطق بها الجوارح والأشواق؛ فكانت له
التوبة خلقاً إلى يوم القيامة! وكان آدم عليه
السلام بهذا أول التوابين! وذلك أخذه كلمات
التوبة على سبيل (التلقي): (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ
كَلِمَاتٍ)!

فعندما تقرأ القرآن إذن؛ استمع وأنصت!
فإن الله جل جلاله يخاطبك أنت! وادخل
بوجدانك مشاهد القرآن، فإنك في ضيافة الرحمن!

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
هناك حيث ترى من المشاهد ما لا عين رأت، ولا
أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر!

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
تبصرة: في مسلك الذكر النبوي:
وأما الذكر النبوي؛ فلأنه لا يكاد ينحصر
لكثرته؛ فإننا ننتخب منه نموذجاً واحداً للتمثيل
التطبيقي، ولنجعل (التسبيح) له مثالا:
- (سبحان الله!): كلمة إجلال وتعظيم؛
تزيها لله رب العالمين. إنها كلمة تنبع من قلب
عرف الله؛ فانبهر بعظمة سلطانه وجلال ربوبيته.
وأدركته الهيبة والخشية؛ لما رأى من آيات الملك
وعظمة الملكوت! أبصر ذلك مثلاً فيما أنكره
الملك العظيم على الكفار! قال سبحانه: (مُؤْمِنُوا
قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَ
وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الزمر: 67).

أن تسبح الله معناه أنك تعبد به بالتزويه.
والتزويه أن تعتقد بقلبك، وتدرك بوجودك أنه
سبحانه أعلى وأجل من أن يحيط به فكر، أو أن
يتصوره خيال! إنه تعالى فوق التشبيه وفوق
المثال! لا يحيط به شيء، وهو يحيط بكل شيء! أن
تسبحه يعني أن تنسب إليه تعالى كل صفات
الكمال والجلال والجمال، مما وصف به تعالى
نفسه من أسمائه الحسنى وصفاته العلى. فهو هو،
كما وصف نفسه بمراحده، ومقاصده، جل وعلا.
أن تسبح الله يعني أنك تزهد عن خلقه، تشعر
بوجودك أنه تعالى مفارق لهم، متعال عنهم.
واستحضار هذه المعاني يكون بمشاهدة آيات
العظمة في الخلق، وكمال الجمال في دقة الصنع.

تأمل جيداً معنى الخلق! ركز ذهنك عند المشاهدة
البصرية، وعند المطالعة القلبية! وأبصر: كيف
كان هذا الكون العظيم؟ الممتد من عالم الشهادة
إلى عالم الغيب؟ أبصر كيف تحول الطين في جسم
آدم إلى لحم ودم، وإلى جسم ينبض بالحياة!
يتذوق ويبصر، ويحس ويشعر، ويضحك ويبكي،
ويحزن ويشتهي، ويخاف ويأمن... إلخ. أبصر كيف
تحول اللاشيء إلى شيء! وكيف تحول العدم إلى
وجود! اقرأ حروف الكائنات في كتاب الكون
الكبير! اقرأ... ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾
(العلق: 1)

وهذا يقتضي منك رحلة كونية عظيمة، لا
تنتهي إلا بانتهاء قدرتك على التبع الروحي

للفضاءات! ترحل في الوجود لتشاهد مدارات
الكون، وطبقات الأجرام والسموات.. وتبصر
بعين القلب، تشاهد بروحك العوالم الأخرى..
وتذكر الله: إنه خالق كل هذا! إنه خالق كل
شيء. إنه فوقهم جميعاً، متعال عنهم جميعاً. إنه
ليس له مثل: سبحان الله! أي خلق كل هذا
وكيف؟ تلك معجزة الخلق، وتلك محيرة العقول؛
فقل: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله... حتى
ينتهي النفس، ثم جدد: سبحان الله!

هذه غلة تسترزق قوتها، وتلك نخلة تسلك
سبل ربها، وتلك بعوضة تشعر بالحياة، عجباً
سبحان الله! وأمم أخرى أدق وأصغر، لا تدرك
بالنظر العادي، قللاً أحشاءنا وتسبح في دمائنا،

وتسرح في الفضاءات؛ وارقب أعم الأرض من
سائر الكائنات وسائر الأنواع، وأبصر أعم
السماء، وأبصر حشود الملائكة عملاً طبقات
السموات، على امتدادات لا يحصرها خيال! قال
النبوي ﷺ: إني أرى ما لا ترون، و أسمع ما لا
تسمعون: أظن السماء وحق لها أن تئط! ما فيها
موضع أربع أصابع؛ إلا وملكت واضع جبهته لله
تعالى ساجداً والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم
قليلاً، ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على
الفرش! وأخرجتم إلى الصعدات تجارون إلى الله (41)

41- رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة
مرفوعاً. وحسنه الألباني. انظر حديث رقم: 2449 في صحيح
الجامع.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
والملائكة على تلك الحال من العبادة أبداً إلى ما
شاء الله. قال جل وعلا: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا
يَسْتَخْسِرُونَ. يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾
(الأنبياء: 19-20)

وتسبح الأمم في الأرض لله طوعاً وكرهاً.
وكل الخليقة أمة. قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ ذَاتَةٍ فِي
الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّةٌ أَمْثَالُكُمْ مَا
فَرَّقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾
(الأنعام: 38). وأبصر بعد ذلك كيف يسترزق
الجميع مولاهم الملك الرزاق؟ هو وحده يرزق،
هو وحده يعطي، هو وحده يمنع، هو وحده يحيي،
هو وحده يميت، هو (الحي القيوم)، يقوم بأمر

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
الكون كل الكون؛ خلقاً وإحياء، وإماتة،
وتقديراً. لا يتحرك شيء في الكون - مهما دق أو
صغر - إلا بإذنه! قال سبحانه: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ
الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَمَا يَنْسُقُ مِنْ ذَرَّةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي
ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ﴾ (الأنعام: 59) ويدير كل شيء! لا يشغله
شيء عن شيء! وذلك اسمه (القيوم). ونحن
خليقته نسأله في الزمان الواحد، ويعطي كل
واحد مسأله! وهو تعالى فوق الزمان والمكان، لا
يحصره زمان ولا يحيطه مكان. بل هو بكل شيء
محيط، جل وعلا، سبحانه هو خالق الزمان
والمكان!

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
ثم انطلق! انطلق إلى مولاها! ومُرَّ على
العوالم مرة أخرى، وشاهد كل ذلك، وقل:
سبحان الله! تعالى الله عن كل شيء علواً كبيراً.
أخسي يا رفيق الطريق! ليس كل من نطق بعبارة
التسبيح قد سبح الله!... فسبح الله! سبح الله!
سبح الله!

تلك لمعة من لمعات التسبيح، وومضة من
ومضاته، ومضة أقل من أثر برق! ضرب هنا ثم
انتهى قبل أن تدركه عين!

وكما يكون التسبيح رحلة كونية لتزويه رب
الكون؛ كذلك يكون التحميد (الحمد لله) رحلة
كونية لشكر رب الكون، ويكون التهليل (لا إله
إلا الله) رحلة كونية لتوحيد رب الكون، ويكون

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
التكبير (الله أكبر) رحلة كونية لتعظيم رب
الكون! ولكن لكل عبارة مراكبها، ولكل جملة
مشاهدها، ولكل نعمة ذوقها وجهالها؛ فاذكر الله!
واقراً إن شئت قول الله تعالى: ﴿إِنْ فِي خَلْقِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
لَايَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا
وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا
سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: 190-191).

وسبق إيراد الحديث النبوي العجيب:
(وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن؛ فإنه
روحك في السماء، وذكرك في الأرض!) فانظر

وتدبر: هل أنت فعلاً ممن يقرأ ويدكر؟ أم أنك لم تبدأ بعد؟ وإذن ماذا تنتظر؟ وهذا العمر يمضي لا ينتظر أحداً!

تبصرة: في مجلس الذكر

الدخول في الذكر يحسن أن يكون بمجلس مخصص له ابتداءً، فذلك أفضل؛ لشهادة السنة له في أحاديث كثيرة وردت في فضل (مجالس الذكر)، وقد سبق ذكر بعضها؛ ولتواتر فعله عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. لكن يمكن أن يدخل فيه الإنسان بغير مجلس مخصص، كأن يكون مسافراً فيقطع المسافات بتلاوة أوراده، من قرآن، أو أذكار. ولذلك قال الله عز وجل ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران: 191) وإنما ورد حديث (سبق المفردون) - الذي سبق الاستشهاد به أكثر من مرة - في سفره ﷺ. فقد قاله النبي ﷺ للصحابة الذين كانوا

معه في سفر. ففي رواية مسلم للحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ. فَمَرَّ عَلَىٰ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمُذَانُ. فَقَالَ: «سِيرُوا. هَذَا جُمُذَانُ. سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ!» قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ!»).

إلا أن الجلوس له أفضل قطعاً؛ لكثرة ما ورد فيه من نصوص، ولما اختص به من فضل اجتماع الملائكة. ومن أشهر ذلك حديث ملائكة الذكر، الذي سبق إيراده أيضاً. قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في كتاب الأذكار: (اعلم أنه كما يُستحبُّ الذكرُ يُستحبُّ الجلوسُ في حلق أهلِهِ، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك (...)) وروينا

في صحيح مسلم عن معاوية ﷺ أنه قال: خرج رسول الله ﷺ على حلقة من أصحابه فقال: ما أَجَلَسَكُم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى ونحسده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا، قال: اللَّهُ مَا أَجَلَسَكُم إِلَّا ذَاكَ؟ قالوا: واللَّهِ، ما أَجَلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ، قال: أما إني لَمْ أَستحلفكم تُهمّةَ لكم، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جَبْرِيلُ فَأخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ (42).

هذا، ويحسن عند القراءة للقرآن وللأذكار أن تمد صوتك بالحروف مداً حتى تستعين بذلك على ما ذكرنا من مصاحبة الفكر للذكر. وهو

42 - من مقدمة المصنف رحمه الله لكتاب الأذكار - ط.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
الثابت في سنة القراءة عند رسول الله ﷺ، فقد
أخبر الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه أن
رسول الله ﷺ كان يمد صوته بالقرآن
مداً⁽⁴³⁾ قال السندي في حاشيته على
النسائي: (قوله: «يمد صوته مداً» أي يطيل
الحروف الصالحة للإطالة؛ يستعين بها على التدبر
والتفكير، وتذكير من يتذكر)⁽⁴⁴⁾.

ذلك طيف عابر من لطائف الذكر. وأما
مشاهدة المقاصد والمعاني يا صاحبي؛ فتلك غاية لا
يمكن أبداً شرحها بعبارات، وإنما يتلقاها المتعلم

⁴³ - رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم عن أنس
وصححه الألباني انظر حديث رقم: 5013 في صحيح الجامع.
⁴⁴ - حاشية السندي على سنن النسائي (باب مد الصوت
بالقراءة)، حديث رقم: 1008.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
بإشارات! إشارات تنبئ عن دخول القلب في
مشاهدة الكلمات، وعن تجربة وجدانية للذاكر،
ومدى تذوقه لمواجيدها. وإنما الذي نرجوه أن
هكذا، ببدايات مثل هذه يمكن إن شاء الله أن
تكون ذاكرة، فاتق الله يعلمك الله؛ ويردك من
فضله؛ عسى أن تكون من الربانيين، والمُفْرَدِينَ
السَّابِقِينَ.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله

تبصرة:

لك أن تختار من القرآن والسنة الصحيحة
آيات وأذكاراً نبوية، تكون لك ورداً يومياً،
تسلك من خلاله إلى الله تعالى، وتتعهد به قلبك
حتى يدوم على نداوة الإيمان، ويستعين بها على
التلقي بمدارج التعرف إلى الله ذي الجلال؛ فيزداد
إشراقاً بنور الرحمن!

وقد جمعت لك - أيها المحب - مختارات من
ذلك، مما صح الإرشاد إليه عن رسول الله ﷺ،
واشتغل به الصحابة رضوان الله عليهم، فكانت
لهم به أحوال وأسرار. وهو مضمون الفصل
الخامس من هذه الرسالة. فاعتمده إن شئت، فإنما
هو آيات وسنن صحيحة. لكن احذر أن يفوتك

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
ذكر الله - (منهج التلقي) - كما شرحناه قبل -
ففتوتك أنوار الحكمة من كل آية قرآنية وعبرة
نبوية؛ وإذن لا يكون للذكر على قلبك أثر! وإنما
الذِّكْرُ تَذَكُّرٌ. فتدبر ثم أبصر!

الفصل الثالث: في عهد القرآن والقيام

القرآن العظيم كلام الله ذي الجلال، وكفى بذلك حقيقة عظمية! وكلام الله جل جلاله، هو وحده الذي يؤجر فيه العبد على تلاوته؛ بعدد ما يتلوه من حروفه؛ حرفاً حرفاً! ولا خير فيمن هجر القرآن! وقد سبق حديث رسول الله ﷺ في ذلك: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف!) فإذا قام به من الليل كان له ميزان آخر! كما سترى بحول الله.

وأعطيت مكان الإنجيل الثاني، وقُصِّلَتْ بالمفصَّل⁽⁴⁵⁾. فهل تقرأ القرآن حقاً؟ تحقق قبل أن تحيب! إن كان لا؛ فحاول أن تقرأه! وجرب!

⁴⁵ - رواه الطبراني والبيهقي في سننه، وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 1059 في صحيح الجامع. ومما يدل على ذلك أيضاً قوله ﷺ: (خُفِّفَ على داود القرآن فكان يأمر بدوايه فتسرح فيقرأ القرآن من قبل أن تسرح دوايه! ولا يأكل إلا من عمل يده). رواه البخاري. فهذا الحديث دال على أن الزبور لم يكن كتاباً مطبوعاً، وإنما كان على حجم بعض سور القرآن العظيم من (المئين) كما صرح به النبي ﷺ في الحديث أعلاه. والمثنون: هي السور التي عدد آياتها مائة، أو تزيد قليلاً، كسورة الكهف مثلاً. ولذلك يفهم كيف يكون الزبور مقسب بكتاب نبي المسلمين. وهو هنا سماه قرآناً، لأن كل كتاب أنزل للتلاوة والقراءة يسمى قرآناً، إلا أن خصوص التسمية عند الإنجيل تقع على ما أنزل على نبينا محمد بن عبد الله ﷺ.

إن هذا القرآن سر لطيف، وكثر رباني عجيب، لو تتلوه يا صاح حق تلاوته؛ لرأيت فيه عجباً! ولأبصرت منه بصائر الكون جميعاً! فهو جامع الكتب السماوية كلها، وهو خلاصتها الكاملة. فهو (الكتاب)، بما تقتضيه (ال) من معاني الاستغراق. قال عز وجل في فاتحة سورة البقرة: ﴿ألم. ذلك الكتاب﴾، أي الأكمل الأشمل، الذي ضم بين دفتيه كل الكتب. وفي ذلك من الأسرار ما يدركه أهل البصائر إذ يقرؤون القرآن. فتجلي لهم سنن، وتنتضح لهم معالم، ويشاهدون حقائق. قال رسول الله ﷺ في حديث عجيب حق عجيب: أُعْطِيَ مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين،

وتعلم كيف تصنع، عسى أن تكون ممن ﴿يَتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ. أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ. وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة: 121). أدخل باب القرآن متجرداً من كل الأحوال؛ إلا حال الإقبال على رب الكون، الله الملك الوهاب! وأبصر في الآيات بصائر الحياة، وقرأ ثم اركع واسجد؛ تكن بحول الله من المبصرين!

تبصرة: في أوقات القرآن

لا شك أن القرآن هو لكل الأوقات، لكن المؤمن لا يعيش حياته ارتجالاً. سواء في ذلك عباداته وعاداته. كيف وقد جعل الله علينا فرائضه أوقاتاً؟ ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (النساء: 103). ومن هنا كان إرشاد الحق عباده الذاكرين إلى أوقات بعينها، باعتبارها ذات جمال خاص للعبادة والذكر. وقد كانت أوقات الأنبياء والصالحين - كما جاء في كتاب الله - تتوزع بين الغداة والعشي ثم الليل. والقرآن هو لتلك الأوقات جميعاً. لكن لك أن تختار منها حسب ظروفك وأحوالك. وبعضها طبعاً أفضل من بعض، كما ستري بحول الله. فإن كنت بدأت

لنشارك بورد الأذكار؛ فلك أن تجعل ورد القرآن مساءً، أو بليلاً.

إن قرآن المساء وذكره - كقرآن البكور - له ذوق خاص عند الذاكرين المفردين، كما في كتاب الله. قال عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف: 205). فالغدو هو البكور من الصباح، أي أول النهار وبدايته. والآصال، مفردة: أصيل. وهو كما في كتب اللغة والتفسير: (وقت ما بين العصر إلى الغروب). فهو سويقات آخر النهار، حيث يبرد حر الشمس، وقد أشتتها، وتلين أضواؤها،

وتطول الظلال وتمتد. ولذلك كان من أجل أوقات النهار.

فلا غنى لك أخي السائر عن زاد المساء. فهو زاد الأنبياء والصديقين! قال عز وجل: ﴿فَإِذَا بَيَّوتَ أذنَ اللَّهِ أَن تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ. لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ. وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (النور: 36-38).

وفي هذا الوقت كانت معجزة نبي الله داود عليه السلام تتجلى في مجلس ذكره، حيث تجتمع

إليه الطيور للذكر، وتردد معه الجبال
التسيحات! قال سبحانه: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ
ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ. إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ
بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ. وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾
(سورة ص: 17-19)، وقال تعالى في ذلك أيضا:
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا: يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ
وَالطَّيْرَ﴾ (سبا: 10). ومعنى أَوِّبِي: سبحي!
والتأويب: الترجيع والترديد، فهي كانت ترجع
معه وتردد التسيح بوعياها؛ تسخيرا من الله، لا
بالصدى. لأن الأوبة كالتوبة وزنا ومعنى. فالعشي
أو الأصيل وقت فيه أسرار عجيبة، منها أنه وقت
سجود الكائنات من غير الإنسان لله الواحد
القهار. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْعُدْوِ
وَالْأَصَالِ﴾ (الرعد: 15).

ومنها أنه وقت الذاكرين المخلصين الذين
يريدون وجه الله تعالى وحده. قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ
نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
يُريدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا
وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف: 28).

اجعل لك إذن جلسة قرآنية بالمساء تنل
كتاب الله ذاكرا متدبرا. اقرأ فيها وردك من
القرآن العظيم، على ما ربت على نفسك من
الأحزاب والأجزاء، حسب دورة ختمتك للقرآن
كل شهر، أو كل أربعين يوما، على حسب

وعشرين! اقرأه في خمس عشرة! اقرأه في عشر!
اقرأه في سبع! لا يفقهه من يقرؤه في أقل من
ثلاث⁽⁴⁸⁾. ثم قال ﷺ: اقرأ القرآن في
أربعين⁽⁴⁹⁾.

48 - رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو، وصححه الألباني.
انظر حديث رقم: 1157 في صحيح الجامع.

49 - رواه الترمذي عن ابن عمر. وحسنه الألباني. انظر حديث
رقم: 1154 في صحيح الجامع.

ظروف عملك وأعمالك. وقد كان الصحابة
يحفلون بختم القرآن بمنازلهم. فغن ثابت أن أنس
بن مالك ؓ كان إذا ختم القرآن جمع أهله
وولده فدعا لهم⁽⁴⁶⁾.

وقد ورد في الحديث ضبط مدة الختم أنها
على الأحسن - ما بين شهر وأربعين يوما، وذلك
قول رسول الله ﷺ: اقرأ القرآن في كل شهر!
اقرأه في عشرين ليلة! اقرأه في عشر! اقرأه في
سبع! ولا تزد على ذلك⁽⁴⁷⁾. وقال ﷺ أيضا:
اقرأ القرآن في كل شهر! اقرأه في خمس

46 - أورده الميمني. بمجمع الزوائد في (باب الدعاء عند ختم
القرآن) وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات. مجمع الزوائد:

الحديث رقم: 11713.

47 - متفق عليه

تبصرة في قرآن القيام:

لكن لا تنس حظ الليل من القرآن الكريم! فاجعل جزءاً من ورد القرآن صلاة بليلاً. وإن نشط سيرك فاجعله كله قياماً! ذلك خير. فقد قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل». قال سأل: فكان عبد الله، بعد ذلك، لا ينام من الليل إلا قليلاً⁽⁵⁰⁾. وذلك مسلك الربانيين. فانظر إلى هذا المشهد الجميل من قول الله تعالى في وصف المؤمنين من أهل الكتاب الذين أدركوا الإسلام فأسلموا: «لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَانِئَةٌ

⁵⁰ - متفق عليه.

يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ (آل عمران: 113).

انظر كيف أناروا لياليهم الخضراء بتلاوة القرآن صلاة بليلاً! وانحطوا في حركة سير إلى الله عجيبة تخترق الآفاق، وتستدر من الحبة أنوار الأشواق، في خلوة القرآن! وقال الرب الكريم في وصف أصحاب سيدنا محمد ﷺ عامة: «لَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ. تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَتَذَكَّرُونَ فَضُلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا. سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ. ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ. وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْجٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوَاقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ. وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ

سَلَعَةُ اللَّهِ الْجَنَّةِ⁽⁵¹⁾ والإدلاج: هو السير بليلاً، أو السفر الليلي، من الدَّلَجَةِ: وهي الظلمة. والمقصود طبعاً قيام الليل. شبهه بالإدلاج؛ لما فيه من معنى السفر الروحي، وتخليق النفس في فضاءات السير إلى الله.

فيا أيها السالك المحب! إن كنت صادقاً، فأخني جزءاً من ليلك بالقرآن! وخاصة ثلثه الأخير، وإن لم تستطع فوسطه، وإن لم تستطع فأوله! وكل ذلك أفضل من وقت الأصيل أو البكور. وفي كل خير.

⁵¹ - رواه الترمذي والحاكم. وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 6222 في صحيح الجامع.

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ (الفتح: 29). فعجبا لمن يبصر هذا الجمال ولا يلتحق بالركب! عجباً كيف تبطئ يا أخي والسير قد انطلق!

أما أهل العزائم ممن شدوا الرحال، فقد أدلجوا غير منازل السَّرى إلى ديار الحبيب! وأناروا مسالك الليالي بأقمار القرآن، مسافرين إلى الرحمن ركوعاً وسجوداً، يحدوهم الخوف ألا يكونوا من الواصلين، أو ألا يكونوا من المفتردين السابقين! قال المصطفى ﷺ يصفهم في حديث يفيض بالأنس والجمال: من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل! ألا إن سلعة الله غالية! ألا إن

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
ثم الصلاة بالقرآن خير من تلاوته مجردا عن
الصلاة! وكلما اختلى الإنسان بصلاة النافلة
كانت أعظم في الأجر؛ حتى تبلغ درجة الفريضة
من حيث قيمتها. وذلك بنص حديث رسول الله
ﷺ، وهو حديث عجيب لمثله تشد الرحال! قال
ﷺ: صلاة الرجل تطوعا حيث لا يراه الناس
تعدل صلاته على أعين الناس خمسا
وعشرين! (52).

ولذلك يحسن جعل ورد القرآن كله بليل؛
لأنه أضمن للخلوة مع الله جل جلاله، فهو أفضل

52- رواه أبو يعلى في مسنده عن صهيب الرومي رضي الله
عنه. وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 3821 في صحيح
الجامع.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
من الأصل قطعاً وآخر الليل أفضل من أوله،
كما هو ثابت في السنة. قال ﷺ: إذا مضى
شطر الليل أو ثلثاه يترل الله إلى السماء الدنيا
فيقول: هل من سائل فيعطى؟ هل من داع
فيستجاب له؟ هل من مستغفر فيغفر له؟ حتى
ينفجر الصبح (53). ولذلك قال ربنا جل وعلا
بنص القرآن العظيم: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ
وَطْنًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ (المزمل: 6).

ولكن خذ من العمل في ذلك حسب ما
تطيق! واشتغل بالأوراد على حسب ظروف
عملك، ولا تكلف نفسك فوق طاقتها. وتحرر من
الأوقات ما يعينك على دوام العمل فذلك أفضل.

53- رواه مسلم.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
وفي الحديث: يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ
مَا تُطِيقُونَ! فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا. وَإِنْ أَحَبَّ
الْأَعْمَالُ إِلَى اللَّهِ مَا دُوِّمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ (54). وفي
رواية أخرى صحيحة: اكلفوا من العمل ما
تطيقون! فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا! وإن أحب
العمل إلى الله تعالى أدومته وإن قلَّ! (55). وأما
الذي يشتغل بالحفظ فورده القرآن إنما هو
الاشتغال بمحفوظه ضبطاً وإتقاناً، والقيام به من
الليل قياماً. حتى يفرغ من جمع القرآن كاملاً.
وآنئذ ينخرط في سلك الختمات الكلية.

54- متفق عليه واللفظ للبخاري.

55- رواه أحمد وأبو داود والنسائي. وصححه الألباني. انظر

حديث رقم: 1228 في صحيح الجامع.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
وقد جوز العلماء لمن غلبه النوم قضاء أوراد
القيام صدّر النهار؛ لحديث النبي ﷺ قال: مَنْ نَامَ
عَنْ حَزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ
الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ
اللَّيْلِ (56). لكن لم لا تكون من الذاكرين
السابقين؟ بل لم لا تكون من القانتين؟ بل لم لا
تكون من المقنطين؟ والأمر أيسر مما يصوره لك
إبليس قهويلاً وتشيطاً؟ ثم كيف لا بغد؟ وهذا قول
رسول الله ﷺ يعرض عليك أجراً يمدد بحر الغيب
مدداً..! يقول ﷺ: من قام بعشر آيات لم يكتب

56- رواه مالك في الموطأ، ومسلم في صحيحه.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
من الغافلين! ومن قام بمائة آية كتب من القانتين!
ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين! (57)

فلتقم على الأقل بعشر آيات - من غير الوتر -
ولا تكن من الغافلين! فسورة (الكافرون) مثلا
ست آيات، وسورة الإخلاص: ﴿قل هو الله أحد﴾
أربع آيات، فتلك عشر! لكن أحسن تدبرها
وأحسن ركوعها وسجودها! فقد قال ﷺ:
أيعجز أحدكم أن يقرأ في كل ليلة ثلث القرآن؟
إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل "قل هو الله
أحد" جزءا من أجزاء القرآن (58). وإن أنعم الله

57- رواه أبو داود وابن حبان عن عبد الله بن عمرو مرفوعا.
وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 6439 في صحيح الجامع.
58- رواه مسلم.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
عليك يا سالك بمحبته، ومن عليك بإقبال عزمة
التعب، وانتهاضها للسير الدائم إليه، المشتاق إلى
نور جماله وظل جلاله؛ فقم بسورة في القرآن
ذات أسرار خاصة، هي فقط ثلاثون آية! تنفك
في قبرك، فتكون لك فيه حصنا من عذابه
- عافانا الله وإياك من عذابه - إنها سورة الملك!
أي (تبارك). فهي السورة المنجية من عذاب القبر
كما في الأحاديث الصحاح، ولهذا فتسمى أيضا
بـ (المانعة). قال رسول الله ﷺ: سورة تبارك
هي المانعة من عذاب القبر (59). وقال أيضا:
إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل

59- رواه ابن مردويه عن ابن مسعود. وصححه الألباني.
انظر حديث رقم: 3643 في صحيح الجامع.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
حتى غفر له! وهي: "تبارك الذي بيده الملك" (60).
ومثله قوله ﷺ: سورة من القرآن ما هي إلا
ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته
الجنة! وهي تبارك (61).

ولك أن تقوم ليلة الجمعة بسورة الكهف
خاصة (62)؛ لما صح في ذلك من فضل هذه السورة

60- رواه أحمد والأربعة وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة.
وقال الألباني: حديث حسن. انظر حديث رقم: 2091 في
صحيح الجامع.

61- رواه الطبراني في الأوسط والضياء عن أنس. وحسنه
الألباني. حديث رقم: 3644 في صحيح الجامع.

62- بشرط ألا تفرد ليلة الجمعة بالقيام من دون سائر الأيام؛
لأن النبي ﷺ عن ذلك، قال: (لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من
بين الليالي، ولا تختصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام؛ إلا أن
يكون في صوم يصومه أحدكم!) رواه مسلم. فإن كان في قيام

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
لمن قرأها من يوم الجمعة بالليل أو بالغداة. فقد
قال ﷺ: من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة؛
أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق! (63).
ومثله قوله ﷺ: من قرأ سورة الكهف في يوم
الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين! (64).
قال ابن حجر في أماليه مبينا ذلك: (المراد: اليوم

يقوم يوميا، أو يوما بعد يوم؛ فهو حسن للأحاديث المذكورة
أعلاه، ولما هو مفهوم من حديث النهي هذا.

63- رواه البيهقي في السنن، وفي شعب الإيمان، ورواه الحاكم
بلفظ قريب منه. وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم:
6471.

64- رواه الحاكم والبيهقي في السنن، وصححه الألباني في
صحيح الجامع رقم: 6470.

بليسته، والليلة بيومها). ولا يخفى عليك فضل

صلاة النوافل بالليل على النهار!

ذلك من حق القرآن العظيم عليك، فلا

تمله ولا تهجره! بل اشتغل به ذكرا بالنهار،

وقياما من الليل، ثم تدبرا وتفكرا في كل حين!

اجعله زاد طريقك، وصاحب سفارك، و خليل

خلوتك، ورفيق جلوتك. وعش به وله. واحذر

أن تصيبك شكوى رسول الله ﷺ مما حكاها الله

في القرآن، إذ قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ

إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان:

30).

الفصل الرابع: في عهد البلاغ

وهذا عهد فصلناه في كتبنا (بلاغ الرسالة

القرآنية). وإنما نورد ههنا خلاصته العملية، بإيجاز

شديد؛ لكمال التطبيق وشمول التحقيق لميثاق

العهد.

ومسالكه هي المفاتيح الثلاثة لأوراد

العمل: بالدخول فيها يتحقق للمسلم السلوك

في مدرسة القرآن. ويرتقي أول مدارج المصلحين

بحول الله. فيخرج بذلك من القول إلى العمل، إذ

لا فائدة لحكم ليس يتحقق له مناط مطلقا في حياة

الإنسان. وإنما جاء الدين ليكون حركة إنسانية

في الزمان والمكان، لا نصوصا تتلى فقط، ولا

قصصا تحكى فحسب. وإنما الأمانة التي حملها

الإنسان عَمَلٌ. ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ

وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ

وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: 105).

والإسلام لما بين بلاغاته للناس؛ بين لهم

فيما بين - وسائل الوصول إليها، وطرائق

اكتساب صفاتها. فجعل لكل أصل عملا، ولكل

عمل بابا، ولكل باب مفتاحا.

تبصرة في المفاتيح الثلاثة:

ومدار باب الخروج إلى العمل على ثلاثة

مفاتيح، أو ثلاث خطوات، هي أصول لما سواها،

نسكها في العبارات التالية:

1- اغتنام المجالسات

2- والتزام الرباطات

3- وتبليغ الرسالات

وبيان ذلك هو كما يلي:

الخطوة الأولى: في اغتنام المجالسات.

وهو أن تحرص على (مجالس القرآن)، قصد

التعرف إلى الله والتعريف به، والتخلق بأخلاق

رسول الله ﷺ والتحلم بحلمه. و(مجالس القرآن)

هي خير أنواع (مجالس الذكر)، التي تضافرت

الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ على أنها

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
محبوبة عند الله، مذكورة في ملكه الأعلى، تشهدها
الملائكة، وتنزل عليها السكينة، وتغشاها الرحمة،
ويذكرها الله فيمن عنده. وليس شيء أفيد منها
في تربية الإنسان المسلم على الصلاح والفلاح.
وهي من أهم الوسائل التربوية التي لا غش فيها
ولا غبار، من حيث استنادها إلى الأدلة المتواترة
بالمعنى، عبر الأحاديث الوفيرة المستفيضة. نذكر
منها الحديث المشهور، الذي رواه أبو هريرة
مرفوعاً إلى النبي ﷺ، والذي فيه: «ما اجتمع قوم
في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه
بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن
عنده. ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه⁽⁶⁵⁾.
وكذلك الحديث المتفق عليه، الذي رواه أبو
هريرة أيضاً، مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: إن الله
ملائكة سياحين في الأرض، فضلاً عن كتاب
الناس، يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر،
فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى
حاجاتكم! فيحقوقهم بأجنتهم إلى السماء الدنيا،
فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟
فيقولون: يسبحونك ويكبرونك ويمجدونك
ويمجدونك. فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله
ما رأوك. فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تحجيذاً،
وأكثر لك تسبيحاً. فيقول: فما يسألوني؟
فيقولون: يسألونك الجنة. فيقول: وهل رأوها؟
فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها. فيقول: فكيف
لو أنهم رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد
عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة.
قال: فمم يتعوذون؟ فيقولون: من النار. فيقول
الله: هل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما
رأوها. فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو
رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة.
فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم! فيقول ملك
من الملائكة: فيهم فلان، ليس منهم، إنما جاء

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
حاجة فيقول: هم الجلساء لا يستقي بهم
جليسهم⁽⁶⁶⁾ والأحاديث في هذا المعنى كثير.
ومجالس القرآن هي للتدرب على الوظائف
التالية:

- أ- الاشتغال بالله تعريفاً وتعريفاً
- ب - الاشتغال بالقرآن تبصراً وتبصراً
- ج- الاشتغال بالشمال الحمدية تخلقا
وتخليقا.
- الخطوة الثانية: التزام الرباطات.
- وذلك بعمران المساجد والتزام الجماعات، قصد
شهود الأوقات واكتشاف الصلوات.

فالمقصود بـ (الرباطات) إذن: بيوت الله، حيثما كانت. ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (النور: 36-38). ذلك ما سماه رسول الله ﷺ بـ (الرباط): في الحديث الصحيح الذي قال فيه ﷺ: ألا أدلكم على ما يحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة.

فذلكم الرباط! فذلكم الرباط! فذلكم الرباط! فذلكم الرباط! (67). فتدبر... ثم أبصر!

ثم اجتهد أيها السائر اغب، والفنى المرباط: لتكون صلاتك صلاة حقاً. واحذر عليها من شيئين: نقر الغراب، وشروء البال. فإنما المرباط من رباط بقلبه ووجدانه، لا ببدنه فقط! وإنما غاية الرباط صلاح الصلاة، وإقامتها حق إقامتها. فإذا فسدت كان ذلك مضية للأعمار وسبيلاً إلى النار! نعوذ بالله منها! فاجعل رباطك قضاء لعمران الصلاة. أبنها بناءً في قلبك ووجدانك، كما تبني حياتك لحظة لحظة، وحركة حركة! واجعل نصب عينيك معلمك رسول الله ﷺ

67 - رواد مالك في موطئه ومسلم في صحيحه.

يعلمك ويصلح لك، كما كان يصلح صلاة المسيء صلاته، بما ورد في الحديث الصحيح: عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلى. ثم جاء فسلم على رسول الله ﷺ. فرد رسول الله ﷺ. قال: ارجع فصل فإنك لم تصل! فرجع الرجل فصلى كما كان صلى. ثم جاء إلى النبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: "وعليك السلام" ثم قال: ارجع فصل فإنك لم تصل! حتى فعل ذلك ثلاث مرات. فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، ما أحسن غير هذا! علمني! قال ﷺ: إذا قمت إلى الصلاة فكبر. ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن. ثم اركع حتى تطمئن راکعاً. ثم ارفع حتى تعتدل قائماً. ثم اسجد

حتى تطمئن ساجداً. ثم ارفع حتى تطمئن جالساً. ثم افعل ذلك في صلاتك كلها (68).

وقد ورد لهذا الحديث بيان عجيب في حديث آخر، فيه دلالة لطيفة على طلب الاطمئنان البدني والنفسي والاسترخاء العصبي: بما يكفل هدوء المصلي، وسكنته، ومرابطته الوجدانية. وذلك قوله ﷺ: إنه لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء، كما أمره الله. فيغسل وجهه، ويديه إلى المرفقين، ويمسح برأسه، ورجليه إلى الكعبين، ثم يكبر الله، ويحمده ويمجده، ويقرأ ما تيسر من القرآن مما علمه الله، وأذن له

68 - متفق عليه.

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
فيه، ثم يكبر فيركع، فيضع يديه على ركبتيه،
ويركع حتى تطمئن مفاصله وتسترخي...!
ثم يقول: سمع الله لمن حمده، فيستوي قائما حتى
يأخذ كل عظم مأخذه، ويقيم صلبه، ثم يكبر
فيسجد، فيمكن جبهته من الأرض، حتى
تطمئن مفاصله وتسترخي! ثم يكبر فيرفع
رأسه، فيستوي قاعدا على مقعدته، فيقيم صلبه،
ثم يكبر فيسجد حتى يُمكن وجهه ويسترخي! لا
تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك! (69)

فاحذر بعد هذا أن يقال لك يوم القيامة:
صل! فإنك لم تصل! وأنى لك أن تصلي في يوم

69- رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم. وصححه
الألباني في صحيح الجامع الصغير: 2420

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
انقطعت فيه الأعمال؟ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا
بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء:
88-89).

والرباط - بعد هذا وذاك - هو تمام القطيعة
بينك وبين عالم المنكرات، وظلام الكبائر
والموبقات. إن التزمته حقا كان لك حصا حصينا
من الانحراف والضياغ، وسدا منيعا دون التردّي
والسقوط. وذلك قول الله عز وجل الصريح
المليح: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت: 45). فتدبر ثم أبصر!

الخطوة الثالثة: تبليغ الرسالات، بالقيام
بالبلاغات، والدعوة إلى الخيرات.

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
وتبصرة هذا المفتاح هي: جواب (كيف
البلاغ؟)

أما تأصيله فقد سبق تقريره بقواعده، في
تبصرة البلاغ الخامس، من كتبنا (بلاغ الرسالة
القرآنية).

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
تبصرة: كيف البلاغ؟

ليس البلاغ اليوم في المسلمين بلاغ (خير)
هذا الدين. فذلك أمر قام به الأولون. وما بقي
اليوم صقع في الأرض لم تبلغه قصة الرسالة
الإسلامية، على الجملة. ثم إننا المقصود بمشروعنا
هذا هو دار الإسلام. هذا العالم الإسلامي الذي
لأن فيه التدين، وضعف فيه التمسك بالكتاب.
مع أنه يتلوه - أو يتلى عليه - كل حين.

إنما المسلمون اليوم في حاجة إلى (إبصار).
إبصار الحقائق القرآنية التي تتلى عليهم صباح
مساء، وهم عنها عمون، على نحو ما وصف الله
سبحانه في قوله: ﴿وَوَرَأَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا
يُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: 198)، وقوله سبحانه:

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
﴿وَكَايْنٌ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ
عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (يوسف: 105).
فالبلاغ الذي نحن في حاجة إليه إنما هو بلاغ
(التبصير)، لا بلاغ التخبير.

وأما مادته فما ذكرناه من أصول الرسالة
القرآنية، وبلاغات القرآن: من اكتشاف القرآن
العظيم، والتعرف إلى الله والتعريف به، واكتشاف
الحياة الآخرة، واكتشاف الصلوات وحفظ
الأوقات، وحقيقة الدعوة إلى الخير، وحكمة اتباع
السنة؛ تزكية وتعلما وتحلما، ومفاتيح ذلك كله
في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

فتلك الخطوات الثلاث هي مفاتيح العمل،
لمن عقد العزيمة على السير إلى الله مُتَعَرِّفًا وَمُعَرِّفًا.

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
وتلك هي الأصول الدينية، التي تشكل المسالك
الرئيسية، لسير العبد إلى الله في طريق التبصُّر
والتبصير.

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله

الفصل الخامس: في المختار من الأذكار

وهو أقسام:

أذكار من القرآن العظيم:

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
الرجيم. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. فَلَكَ يَوْمَ الدِّينِ
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (70). آمين.

70- فضل سورة الفاتحة - عند من يبصرها - لا الهان في
القرآن، ولا فيما سبقه من كتب، ويكفيها عظمة وقدرًا أن

الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿الْم﴾ ذَلِكَ
الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ

المسماة (أم القرآن)! وهي التي امتن الله بها على خليله المصطفى
محمد ﷺ في قوله تعالى: (وَوَقَدْ آتَيْنَاكَ مِثْعًا مِّنَ الْمُنَانِي وَالْقُرْآنَ
الْعَظِيمَ) (الحجر: 87). ولذلك قال النبي ﷺ (أم القرآن هي:
السبع المثاني والقرآن العظيم) رواه البخاري. وأوضح منه قوله
ﷺ: (والذي نفسي بيده! ما أنزل في التوراة، ولا في الإنجيل،
ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثيلاً! وإنما لسبع من المثاني
والقرآن العظيم الذي أعطيتها!) رواه أحمد والترمذي عن أبي
هريرة. وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 7079 في صحيح
الجامع

وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿البقرة: 1-5﴾ (71).

71- وعن الشعبي قال: قال عبد الله - يعني ابن مسعود -
(من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في بيته لم يدخل ذلك
البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح: أربع آيات من أولها وآية
الكرسي، وآيتين بعدها، وخواتيمها) رواه الطبراني، وقال
المهشمي: (ورجاله رجال الصحيح، إلا أن الشعبي لم يسمع من
ابن مسعود) جمع الزوائد، الحديث رقم: 17013. وسكن في
ذلك أحاديث أصح. وفضلاً عن أنه قرآن متعبد بتلاوته فقد
صح خصوص الذكر بذلك في أحاديث متناثرة منها ما رواه
مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (بينما جبريل قاعد
عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا باب
من السماء فتح اليوم، ولم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك
فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، مسلم
وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يوتيهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب،

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. لَا تَأْخُذُهُ
سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ. لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ. مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ. يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ. وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ
مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ. وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ. وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ
الْعَظِيمُ﴾ (72).

وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيتها! يعني
ما ورد فيهما من الدعاء. رواه مسلم.

72 - لقد أقر النبي ﷺ ما سمعه أبو هريرة من حديثه بليد إذ قال
له: (إذا أويت إلى فراشك، فاقرا آية الكرسي من أولها حتى
تختم: "الله لا إله إلا هو الحي القيوم". وقال لي: لن يزال عليك
من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح) رواه البخاري.
وقال ﷺ: (من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ. قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ
الْغَيِّ. فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدْ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْقِصَامَ لَهَا. وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ. اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ
الطَّاغُوتُ. يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ.
أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة:
255-257).

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ. وَإِن
تُبَدُّوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوا يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ.

من دعول الجنة إلا أن يموت). رواه النسائي وابن حبان عن أبي
أمامة. تحقيق الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: 6464 في
صحيح الجامع.

فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ. كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكُتِبَ وَرُسُلُهُ. لَا تَفْرُقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ. وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا. لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ. رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا. رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا. رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ. وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. (البقرة: 284-286) (73).

73- هل تدري ما خواتيم البقرة؟ إنها آيات تلقاها رسول الله ﷺ وحيا في السماء ليلة الإسراء والمعراج! ففي صحيح مسلم عن

عَبْدُ اللَّهِ قَالَ: (لَمَّا أَمْرِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُعْتَقَةِ. وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ. إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُرْجَى بِهِ مِنَ الْأَرْضِ. فَيَقْبَضُ مِنْهَا. وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْطَى بِهِ مِنْ قُوَّهَا. فَيَقْبَضُ مِنْهَا. قَالَ: إِذَا يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى" (البقرة: 16). قَالَ: فَرَأَى مِنْ ذَعْبٍ. قَالَ: فَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ أَغْطِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ. وَأَعْطَى خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ. وَغَفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُفْجَحَاتِ). رواه مسلم. ومن تمر شيئا من أسرارها؟ تدبر إذن هذين الحديثين:

الأول: قول رسول الله ﷺ: (أَعْطَيْتُ هَذِهِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ؛ مِنْ كَثَرِ تَحْتَ الْعَرْشِ، لَمْ يَعْطَاهَا لِي قَبْلِي) رواه أحمد والطبراني والبيهقي عن حذيفة، ورواه أحمد عن أبي ذؤيب وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 1060 في صحيح الجامع. والثاني: قوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْفِي عَامٍ وَهُوَ عِنْدَ الْعَرْشِ، وَإِنَّ أَوَّلَ مَنَّهُ آيَتَيْنِ حَتَمَ بِهِمَا سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَلَا يَقْرَأُ فِي دَارِ ثَلَاثِ لَيَالٍ فَيَقْرَأُ الشَّيْطَانُ) رواه الترمذي والنسائي والحاكم عن العيص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ. وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ. وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ. إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ. هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ. لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.﴾ (آل عمران: 1-6) (74).

بن بشر. وصححه الألباني انظر حديث رقم: 1799 في صحيح الجامع.

74- قال رسول الله ﷺ: (اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أحاب في ثلاث سور من القرآن: في البقرة، وآل عمران، وطه)

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ. وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا. وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ. وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ. ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ

رواه ابن ماجه والطبراني والحاكم وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 979 في صحيح الجامع.

وقال أيضا: (اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: وَرَفَعَكُمْ إِلَى وَاحِدٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ" (البقرة: 163). وردت آل عمران: "أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ"). رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، وحسنه الألباني. انظر حديث رقم: 980 في صحيح الجامع.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
لِيَقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى. ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (الأنعام: 60-61) (75).

«قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا
أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» (الأنعام: 164-165).

بسم الله الرحمن الرحيم. «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا. قِيمًا

75- هذه الآية أصل عظيم في التعريف بالله تعالى وتوحيده. فقد
قال البخاري في صحيحه: (باب "وعنده مفاتيح الغيب لا
يعلمها إلا هو" (...)) عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول
الله ﷺ قال: مفاتيح الغيب خمس: "إن الله عنده علم الساعة
ويزل العيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب
غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير" (رواه
البخاري).

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ. وَيُنَبِّئُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا. مَا كَثُرَ
فِيهِ أَبَدًا. وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا. مَا
لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِبَنَاتِهِمْ. كَثُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ
مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا. فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ
نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ
أَسَفًا. إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ
أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا. وَإِنَّا لَنَجَاعِلُنَّ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا
جُرُزًا. أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ
كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا. إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ
فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا
رَشَدًا. فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ
عَدَدًا. ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
لَبِثُوا أَمَدًا. نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ. إِنَّهُمْ
فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى. وَرَبَطْنَا عَلَى
قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا
ضَطَطًا. هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً. لَوْ كُنَّا
يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ. فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا. وَإِذْ اغْتَرَفْنَاهُمُ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا
اللَّهَ. فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ
رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَاقًا» (الكهف: 1-16).

«فَوَاصِبٌ نَفْسُكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ. وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ
عَنْهُمْ تَرْيَدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
قَلْبُهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا. وَقُلْ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ
فَلْيُكْفُرْ. إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ
سُرَادِقُهَا. وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ
يَشْوِي الْوُجُوهَ. بئس الشراب وساءت مرتفعًا» (الكهف: 28-29).

«وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا. وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ
يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا. الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي
غَطَاةٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا.
أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ
دُونِي أَوْلِيَاءَ. إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا. قُلْ
هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ
صُنْعًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ
فَحَبَّطَتْ أَعْمَالَهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا.
ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَوَلَّوْا آيَاتِي
وَرُسُلِي هُزُؤًا. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا. خَالِدِينَ فِيهَا لَا
يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا. قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِذَادًا
لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَذَ كَلِمَاتُ
رَبِّي. وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا. قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ
مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ. فَمَنْ كَانَ
يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ

بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَادًا⁽⁷⁶⁾ (الكهف: 99-110: النهاية).

76- سورة الكهف عظمى الفضل جدًا وقد ورد في فضائلها
وفي فضل أوليائها، وأواخرها، أحاديث كثيرة منها: قوله ﷺ:
(من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة
الدجال) رواه مسلم. وفي رواية عنده: (من أجز الكهف)
ومن ذلك أيضا أن رسول الله ﷺ لما ذكر الدجال وحذر من
فتنته قال ﷺ: (فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فاتحة سورة
الكهف) رواه مسلم. ومثله قوله ﷺ: (يا أيها الناس اعلموا
تكن فتنة على وجه الأرض - منذ ذرأ الله ذرية آدم - أعظم
من فتنة الدجال وإن الله عز وجل لم يبعث نبيًا إلا حذر أمته
الدجال وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، ومن خارج فرقكم
لا محالة ...) وإن من فتنته أن معه جنة وتارة قناره جنة.
وحسنه نارا فمن ابتلي بناره فليستغث بالله! وينبأ قوسج
الكهف) رواه ابن ماجه، وابن خزيمة، والحاكم، وأبو داود
وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: 7875.

وهي سورة تنزل الملائكة على قارئها رحمة وسكينة فعن
البراء قال: كَانَ وَجَلُ يَفْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ. وَعِنْدَهُ قَرَسٌ مَرْبُوطٌ
بِشَطْرَيْنِ [أي: بحلين]. فَتَقْرَأُهَا سَحَابَةً. فَجَعَلَتْ نُفُورٌ وَتَذَوُّوْ
وَجَعَلَ قَرَسُهُ يَنْفِرُ مِنْهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ. فَذَكَرَ ذَلِكَ
لَهُ. فَقَالَ: «تِلْكَ الْمَكِينَةُ تَنْزَلُ لِلْقُرْآنِ» متفق عليه. وقد
وردت هذه القصة مفصلة عند مسلم فيما رواه أبو سعيد
الخُدري رضي الله عنه أن أسيد بن خضير رضي الله عنه، يَتَمَنَّا
هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مَرْبِدِهِ؛ إِذْ جَاءَتْ قَرَسُهُ. فَقَرَأَ؛ ثُمَّ جَاءَتْ
أُخْرَى! فَقَرَأَ؛ ثُمَّ جَاءَتْ أُخْرَى! قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تُطَا
يَخْشَى. [يعني ابنه الصغير] فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَإِذَا مِثْلُ الظِّلَّةِ فَوْقَ
رَأْسِي، فِيهَا أَشْرَافُ السُّرُجِ! [ج. سراج: وهي المصابيح] عَرَجْتُ
فِي الْخَوْضِ حَتَّى مَا أَرَاهَا! قَالَ فَقُلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَتَمَنَّا أَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي
مَرْبِدِي، إِذْ جَاءَتْ قَرَسِي! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقْرَأُ ابْنَ
خُضَيْرٍ!» قَالَ: فَقَرَأْتُ؛ ثُمَّ جَاءَتْ أُخْرَى! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«أَقْرَأُ ابْنَ خُضَيْرٍ!» قَالَ: فَقَرَأْتُ؛ ثُمَّ جَاءَتْ أُخْرَى! فَقَالَ رَسُولُ

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ
وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدُّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ

اللَّهُ ﷻ: «أَقْرَأُ ابْنَ خُضَيْرٍ!» قَالَ: فَالْصَّرَفْتُ. وَكَانَ يَخْشَى قَرَسًا
مِنْهَا: خَشِيتُ أَنْ تُطَا. فَزَأْتُ مِثْلَ الظِّلَّةِ. فِيهَا أَشْرَافُ السُّرُجِ.
عَرَجْتُ فِي الْخَوْضِ حَتَّى مَا أَرَاهَا! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷻ: «تِلْكَ
الْمَلَكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ! وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحْتَ بِرَأْسِ النَّاسِ»
مَا تَسْتَبْرَأُ مِنْهُمْ! رواه مسلم.

وقد صح فضل قراءتها من يوم الجمعة، في غداها أو ليلتها، قال
ﷺ: (من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة؛ أضاء له نور ما بينه
وبين البيت العتيق) رواه البيهقي في السنن، وفي شعب الإيمان،
ورواه الحاكم بلفظ قريب منه. وصححه الألباني في صحيح
الجامع، رقم: 6471. ومثله قوله ﷺ أيضا: (من قرأ سورة
الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعة والجمعة) رواه
الحاكم والبيهقي في السنن، وصححه الألباني في صحيح الجامع
رقم: 6470.

وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ. وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ. إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ. (سجدة: (الحج: 18))
 ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْسَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ. الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ. الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ. يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ. نُورٌ عَلَى نُورٍ. يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ. وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ. وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. فِي ثُبُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ. يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ. لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ

أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ. وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ. (النور: 35-37))
 ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ. إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً. إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ. أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ. وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى. وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ. وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. (لقمان: 27-30))
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ. وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

تَعْمَلُونَ. وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ. أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ. أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ. لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ. وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ. هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ. سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ. هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ. لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى.

يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. (الحشر: 18-24)) (77)
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ. لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. وَلَا أَنَا عَابِدٌ مِمَّا عَبَدْتُمْ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ. (78))

77- يقول الله جل جلاله: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِقُونَ فِي أَسْمَائِهِ سُبُحُونًا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأعراف: 180). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة خير من واحد لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة. وهو وتر يحب الوتر). وفي رواية أخرى من الصحيح: (من أحصاها دخل الجنة) متفق عليه.

78- قال ﷺ: (إذا أخذت مضجعتك من الليل فاقرأ: "قل يا أيها الكافرون" ثم تم على عاقبتها فإنها براءة من الشرك). رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم، ورواه البيهقي عن أنس بن مالك.

تسبيح و تهليل

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضى نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته. (ثلاث مرات) (82)

82- عن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها أن النبي ﷺ وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي خالصة، فقال ﷺ: (ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟) قالت: نعم. فقال النبي: (لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: "سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته") رواه مسلم.

الله أكبر كثيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً. (ثلاثاً) (83)

83- التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، تلك أربعة أنواع من الذكر متواترة عن رسول الله ﷺ، وذلك من خلال أساليب كثيرة. منها قوله ﷺ: قال رسول الله ﷺ: (لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس!) (رواه مسلم). وقوله ﷺ: (يصح على كل سلامي من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل هيلة صدقة، وكل تكريرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة. ويجزي من ذلك ركعتان تركعهما من الصبح) رواه مسلم. وروى أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال: (أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. إما من أربع، فلا يزيد عليّ) رواه مسلم. وقال رسول الله ﷺ في ذلك أيضاً: (تقرب إبراهيم ﷺ لسبلة أسري بي فقال: يا محمد أفرأيت أمك مني السلام؟ وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

ومن ذلك أيضاً قول النبي ﷺ: (كَمَثَلَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: "سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ") متفق عليه. ويمكن لك أن تبيع في الذكر بما عدد المائة للحديث الصحيح من قول النبي ﷺ: (أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟ يسبح الله مائة تسبيحة؛ فيكتب الله له بها ألف حسنة) ويحط عنه بها ألف خطيئة! (رواه مسلم). ومثله أيضاً قول ﷺ: (من قال: "سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ" في يوم مائة مرة حُطَّتْ خطيئاه، وإن كانت مثل زبد البحر!) (متفق عليه).

وأما الصيغة المختارة أعلاه فللهديث الصحيح الذي رواه ابن عمر قال رضي الله عنهما: «سَمِعْنَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَثِيرًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مِنَ الْقَائِلِ كَذَا وَكَذَا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: غَضِبْتُ لَهَا فَضَحْتُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ قَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَا تَرَكْتُهُنَّ مِنْهُ سَبَّحْنَهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ». رواه مسلم.

وعن جابر بن مطعم (أنه رأى رسول الله ﷺ يُصَلِّي صَلَاةً. فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا.)

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. (مرات) (84)

وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ثَلَاثًا. أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. ثَفَّعَهُ وَتَفَنَّهُ وَهَمَزَهُ. رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن حبان، والطبراني في الكبير.

84- وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (من قال "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير" في يوم مائة مرة؛ كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حريراً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي؛ ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به؛ إلا أحد عمل أكثر من ذلك) متفق عليه.

الصلاة الإبراهيمية

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، في العالمين، إنك حميد مجيد (عشر مرات) ⁽⁸⁵⁾.

⁸⁵ - هذه صيغة الصلاة الإبراهيمية، مختارة ومختصرة من عدة صيغ في الصحيحين وفي غيرها. منها ما أخرجه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدى لك هدية تمنعها من النبي ﷺ؟ فقلت: بلى، فأهدىني، فقال: سألت رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله: كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم، قال: (قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد... إلخ) متفق عليه.

ولك أن تختصرها - إن شئت - هكذا:

وفضل الصلاة على سيدنا محمد عظيم جداً، وهي مفتاح خير كبير، وقد وردت في ذلك أحاديث صحيحة كثيرة، منها قوله ﷺ: (من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشر) (رواه مسلم). وقوله ﷺ: (من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات ورفعه له عشر درجات). رواه أحمد، والبخاري في الأدب المفرد، والنسائي والحاكم وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 6359 في صحيح الجامع وقوله ﷺ: (كل دعاء محجوب حتى يُصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وآل محمد) رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس، كما رواه البيهقي عن علي موقوفاً. وحسنه الألباني. انظر حديث رقم: 4523 في صحيح الجامع. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، عن الرواية الموقوفة على علي رضي الله عنه، رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

دعاء الصباح والمساء

أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. اللهم أني أسألك خير هذا اليوم، فتحه ونصره ونوره وبركته وهذاه. وأعوذ بك من شر ما فيه، وشر ما قبله، وشر ما بعده ⁽⁸⁶⁾. اللهم بك أصبحنا،

⁸⁶ - هذا الدعاء مركب من حديثين: الأول رواه مسلم عن عبد مسعود رضي الله عنه قال: (كان نبي الله ﷺ إذا أُمسى قال: "أُستبنا وأُستبى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له... إلخ" إلى أن قال: "وإذا أصبح قال ذلك أيضاً. "أصبحنا وأصبح الملك لله" رواه مسلم.

(اللهم صل وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين، إنك حميد مجيد). (عشرا)

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
وبك أمسينا، وبك نحيا وبك نموت، وإليك
المصير⁽⁸⁷⁾. أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة

والثاني: رواه أبو داود قال: قال ﷺ: (إذا أصبح أحدكم
فليقل: أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين. اللهم إني أسألك
عمر هذا اليوم... إلخ، إلى أن قال: (ثم إذا أمسى فليقل مثل
ذلك) وحسنه الألباني. انظر حديث رقم: 352 في صحيح
الجامع.

⁸⁷ - وقال ﷺ: (إذا أصبح أحدكم فليقل: اللهم بك أصبحنا
وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير. وإذا أمسى
فليقل: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت
وإليك النشور) رواه الترمذي عن أبي هريرة. وحسنه الألباني
في صحيح الجامع الصغير: انظر حديث رقم: 353.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
الإخلاص، ودين نبينا محمد ﷺ، وملة أينا إبراهيم
حنيفا مسلما، وما كان من المشركين⁽⁸⁸⁾.

ثم تدعو بعد ذلك بدعائك الخاص، بما شئت
من خيري الدنيا والآخرة، لنفسك وأهلك ولأمة
المسلمين.

ثم تختم بقولك: (سبحانك اللهم وبحمدك،
أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب
إليك)⁽⁸⁹⁾.

⁸⁸ - كان [النبي ﷺ] إذا أصبح وإذا أمسى قال: "أصبحنا على
فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص... إلخ" رواه أحمد والطبراني،
وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 4674 في صحيح الجامع.

⁸⁹ - قال ﷺ: (كفارة المجلس أن يقول العبد: سبحانك أعبد
وعمدك أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك،

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
وليكن ذلك آخر كلامك بذلك المجلس.
فتقوم إلى صالح أعمالك الأخرى، من أمور دينك
ودنياك، بنية التوبة والطاعة.

أستغفرك وأتوب إليك). رواه الطبراني عن ابن عمرو، وعن ابن
مسعود. وصححه الألباني انظر حديث رقم: 4487 في صحيح
الجامع. وفي رواية النسائي والحاكم أنه ﷺ قال: (فإن قلنا في
مجلس ذكر كانت كالطابع يطبع عليه! ومن قلها في مجلس لغو
كانت كفارة له!) رواه النسائي والحاكم عن جابر بن مطعم،
وصححه الشيخ الألباني. انظر حديث رقم: 6430 في صحيح
الجامع.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله

تبصرة

ولاتنس ثلاثة أدعية أساسية في اليوم والليلة:
فإن المسلم يُحَفِّظُ بها وَيُسَدِّدُ: الأول دعاء
الخروج من المنزل، والثاني: دعاء النوم. والثالث:
دعاء الاستيقاظ من النوم.

فأما دعاء الخروج: فهو قول النبي ﷺ: باسم
الله، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
بِالله. اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل، أو نصل، أو
نظلم أو نظلم، أو نجهل أو يُجْهَلَ علينا!⁽⁹⁰⁾

⁹⁰ - هذا الدعاء مركب من حديثين صحيحين: أو شهما قول النبي
ﷺ: (مَنْ قَالَ - يعني إذا خرج من بيته - "باسم الله، تَوَكَّلْتُ
عَلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ"؛ يُقَالُ لَهُ: كُفِّتَ وَوُفِّتَ

وأما دعاء النوم فهو أن يقول - بعد قراءة آية الكرسي -: باسمك ربي وضعت جنبي وبك

وهديت، وتحتى غنة الشيطان قال الترمذي: حديث حسن. زاد أبو داود في روايته "فيقول - يعني الشيطان للشيطان آخر - كيف لك برجل قد هدي وكنتي ووقي؟" رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم: 499.

والحديث الذي رواه الترمذي عن أم سلمة، أنه ﷺ: (كان إذا خرج من بيته قال: "بسم الله، توكلت على الله. اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل أو نضل أو نضل أو نضل، أو نجعل أو نجعل علينا") رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: 4708.

تبصرة: في بَرَأق الأوراد

وهو الورد الصامت! يطير بك سرّاً في سبحات الروح! يطير بك عالياً، عالياً جداً! ثم.. سريعات فإذا أنت على أعتاب الولاية! مع أهل الله وخاصته، سبحانه جل علاه! وأي ورْدٍ أصدق على هذا المعنى من الصوم؟ ذلك هو بَرَأق الأوراد، ورافدها المتدفق على الوجدان بصمت!

تعددت السوافل وتشابكت في الخيرات، وتفرّد الصومُ بِسِرِّ الانتساب الخالص إلى الله! وإذا بالعبد الصائم يدخل في مقام من مقامات العبودية، غير مقدرة بمكيال، ولا محصورة بحساب! مقام (عبد الله) المخلص المخلص! الذي

أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين⁽⁹¹⁾.

وأما دعاء الاستيقاظ من النوم؛ فهو: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور⁽⁹²⁾.

91- قال النبي ﷺ: (إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليفضه بداحلة إزاره؛ فإنه لا يدري ما خلفه عليه. ثم ليضطجع على شقه الأيمن، ثم ليقل: باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين) متفق عليه.

92- أخرج الشيخان أنه ﷺ: (كان إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت محده، ثم يقول: باسمك اللهم أحيا وبسمك أسوت. وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور) متفق عليه.

أخلص لله حق صفاء؛ فأخلصه الله إليه؛ فكان من المخلصين! وضربت المعاني بأجنحتها في عمق غيب لا طاقة لأحد من الخلق على سبر أغواره! فتولى الله جل جلاله لذلك إحصاء تلك المعاني، في صحيفة عبده المخصوص؛ بما شاء وكما شاء، مما لا ذرية لأحد من الملائكة الكتبة به!⁽⁹³⁾ ولذلك قال النبي ﷺ: فيما يرويه عن ربه تعالى من الحديث القدسي: كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبع مائة ضعف! إلى ما شاء الله!

93- قال الإمام عبد الرؤوف المناوي في فيض القدير، بعد شرح هذا الحديث: (وأنا أجزى به صاحبه جزاءً كثيراً وأنبئ الجزاء عليه بنفسه، فلا أكمله إلى ملكٍ مقرب، ولا غيره؛ لأنه سِرٌّ بيني وبين عبدي، لا يطلع عليه غيري) ص: 171.

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
قال الله عز وجل: إِلا الصوم؛ فإنه لي! وأنا أجزي
به! يَدْعُ شهوته وطعامه من أجلي! (94).

فإن تكون من (الصائمين) حقاً، معناه: أن
تكون لله وبه! فإذا أنت: تسمع لا كما يسمع
الناس! وتبصر لا كما يبصر الناس! قال الحبيب
المصطفى ﷺ في الحديث القدسي: إن الله تعالى
قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب! وما
يتقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت
عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى
أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به،
وبصره الذي يبصر به، ويذره التي يبطش بها،

94- رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
ورجله التي يمشي بها، وإن سألتني أعطيتها، ولئن
استعاذني لأعيذته! (95).

النوافل شئ.. نعم؛ لكن أصفها مؤزداً،
وأخلصها مسلماً، وأقربها طريقاً موصلة إلى ذلك
المقام: هو الصوم! فهو بُرَاقُ الأوراد: أو الورد
الصامت، الناطق بكل شيء، من الخير والجمال!
إنه طريق سيار سريع؛ فلا تنس حظك منه! فأيامه
لحظات تختلس من الدنيا! قمضي الدنيا وتفتي..
وتبقى أيامه ضحى ممتداً في الزمن الخالد!

الصوم، نعم؛ لكن هل أنت تعرفه؟ فتعرف
عليه أولاً! إنه تاج النوافل وزينتها، ومُحْ
أسرارها! تلك آيات الصوم تقرؤها، وتلك

95- رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
أحاديثه تسردها؛ وذلك الانقطاع عن شهوتي
البطن والفرج تعلنه؛ ولكن هل أنت تصوم؟
وإعما الصوم: ما تحقق لك به الذكر، وإلا
فلا صوم! فهل أنت تصوم؟ اقرأ كلمات النبوة
هذه، وتذبر؛ ثم أبصر! قال رسول الله ﷺ: رَبُّ
صَائِمٍ حَظٌّ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ! (96).

كيف الصوم الذي به يكون الذكر إذن؟
هذه آية من بصائر الصوم في طريق
الصائمين؛ لإدراك منبع الحكمة، والتعرف على
سر تلك النعمة! آية قد لا تخطر بصرها ببال!

96- رَوَاهُ الظُّمَرَانِيُّ عَنْ ابْنِ عَمْرٍو، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالْحَاكِمُ،
وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ،
رَقْمٌ: 3490.

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
قال تعالى مخاطباً السيدة الكاملة، مريم الصديقة:
﴿فَإِمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ
لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (مريم: 26).
هكذا: ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾: صمت مطلق
وقطعية تامة مع كل متكلم من الناس! نعم؛ ذلك
حُكْمٌ مِنْ أَحْكَامِ (شَرْعٍ مِنْ قِبَلِنَا) هو منسوخ
بشريعنا (97)، نعم؛ ولكن الحكمة ما كانت لتُنسخ
أبدًا! وقد يُنسخ الحكم وتبقى مقاصده ثابتة،
مستقرة في كل الدين إلى يوم الدين! وهذا منه.
واليك البيان!

97- قَالَ ﷺ: (لَا حُكْمَ يَوْمٍ إِلَى النَّبْلِ) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ،
وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَقْمٌ: 7609 فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
لقد كان الصوم - ولم يزل في شريعتنا -
انقطاعاً وتبتلاً إلى الله جل وعلا. إنه اشتغال به
وحده دون سواه؛ ولذلك تُوظَّف كل طاقات
الجسم والنفس معا في العبادة؛ والتوجه إلى الله،
بحيث لا تشتغل بطعام ولا بشراب ولا بجماع؛
حتى يرد الإذن بذلك من الرحمن! وتنقطع النفس
عن كل كلام من اللغو والصخب والرفث⁽⁹⁸⁾؛
حتى تصفو الكلمات بالفهم طيباً من الذكر، أو مما
يخدمه من ضرورات الكسب الحلال؛ فيعيش
المسلم بذلك لحظات يجد نفسه فيها كلها لله!
ويكون الصائم إذن صامتا عن كل منازع

98- انصحب: الضجيج والصراخ. والرفث: فاحش الكلام
وساقطه.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
الشهوات، فلا كلام يصدر عنه إلا ما عبد الله به،
أو خدم ذلك أصالة أو تبعاً تحقيقاً لحكمة النبوة
العظمى، إذ قال ﷺ في بعض وصاياه: (عليك
بحسن الخلق وطول الصمت! فوالذي نفسي بيده
ما تجمل الخلاق بمثلهما!)⁽⁹⁹⁾ وصح من شأنه
عليه الصلاة والسلام أنه (كان طويل الصمت
قليل الضحك!)⁽¹⁰⁰⁾ ذلك سمّت المنقطعين إلى
الله، من الأنبياء والصديقين. ولا شك أن من
مقاصد الصوم تدريب العبد على التخلق بأخلاق
ذلك المقام. ولذلك قال رسول الله ﷺ: (ليس

99- رواه أبو يعلى، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في شعب
الإيمان، وحسنه الألباني، رقم: 4048 في صحيح الجامع.
100- رواه أحمد وحسنه الألباني، رقم: 4822 في صحيح
الجامع.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
الصيام من الأكل والشرب! إنما الصيام من اللغو
والرفث! فإن سأك أحد، أو جهل عليك؛ فقل:
إني صائم! إني صائم!⁽¹⁰¹⁾ إني صائم: بمعنى إني
منقطع عن الخلق إلى رب الخلق! منقطع أكلاً
وشرباً وشهوة، ومنقطع خطرة وفكرة وعبرة،
ومنقطع جسماً ونفساً! فلم يبق مني شيء غير
الله! إني صائم! ويجمع ذلك كله حديث الرسول
ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى من الحديث القدسي،
قال عليه الصلاة والسلام: (قال الله تعالى: كل
عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي

101- رواه الحاكم، والبيهقي عن أبي هريرة. وصححه الألباني
رقم: 5376 في صحيح الجامع.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
به! والصيام جنة!⁽¹⁰²⁾ وإذا كان يوم صوم
أحدكم؛ فلا يرفث! ولا يصخب! وإن سابه أحد
أو قاتله؛ فليقل: إني امرؤ صائم! والذي نفس
محمد بيده! لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ⁽¹⁰³⁾ عند الله
أطيب من ريح المسك!⁽¹⁰⁴⁾ إنه انقطاع عن كل
صخب أو صراخ أو ضجيج! وانقطاع عن كل
جدل عقيم أو مرأى يجر إلى ذلك، وانقطاع عن
كل ما يمهّد أو يُذكّر بالشهوات! ومن كان لله لم
يكن لغيره! حال من الصمت - طيلة اليوم - عن
كل ما لا يصب في بحر التعبد من الكلام. حال

102- جنة: أي وفاة.

103- الخلوف: الرائحة الكريهة التي تخرج من فم الإنسان

بسبب الجوع والعطش!

104- متفق عليه.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
 من الاستسلام الكلي لله رب العالمين. حال من
 التوظيف الشامل لأعضاء البدن وأشجان النفس
 في حركة السير إلى الله. فأي ذكرٍ أذكرُ من هذا،
 وأي فكرٍ؟ ذلك هو الصوم! فهل أنت تصوم؟
 فليس عجباً أن يخصص الرب الكريم
 للصائمين - وللصائمين فقط - باباً من أبواب
 الجنة لا يدخل منه غيرهم! قال ﷺ: إن في الجنة
 باباً يقال له: الرِّيَّانُ، يدخل منه الصائمون يوم
 القيامة. لا يدخل منه أحد غيرهم! يقال: أين
 الصائمون؟ فيقومون فيدخلون منه، فإذا دخلوا
 أغلق فلم يدخل منه أحد! (105).

105 - متفق عليه.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
 الله وإياك بقوة العزائم في النفس وفي البدن!
 آمين.
 فأما المسلك الأول: فهو صيام ثلاثة أيام من
 كل شهر. هي الأيام البيض من الأشهر العربية،
 حيث تكتمل دورة البدر في السماء. وهي: أيام
 ثلاثة عشر، وأربعة عشر، وخمسة عشر. فقد قال
 رسول الله ﷺ: صوم ثلاثة أيام من كل شهر،
 ورمضان إلى رمضان: صوم الدهر وإفطاره! (107)
 وقال أيضاً: صوم شهر الصبر، وثلاثة أيام من
 كل شهر: صوم الدهر! (108) وجاء ذلك

107 - رواه مسلم

108 - رواه أحمد والبيهقي عن أبي هريرة. وصححه الألباني،
 رقم: 3803 في صحيح الجامع.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
 ونوافل الصوم في السنة الصحيحة كثير. إلا
 أن ما يمكنك التزامه من الصوم على سبيل الوَرْدِ
 الدائم هو: مسلكان اثنان. لك أن تختار بينهما،
 ولك أن تجمع بينهما، ولك أن تزيد عليهما بما
 صح في سنة المصطفى ﷺ. لكن؛ بشرط ألا تثقل
 على نفسك بما يؤثر على فرائض العبادات سلباً،
 أو بما يؤدي إلى الفتور الكلي ثم الانقطاع! ولا
 تنس نصيحة رسول الله ﷺ: اكلفوا من العمل ما
 تطيقون! فإن الله لا يمل حتى تملوا! وإن أحب
 العمل إلى الله تعالى أدومته وإن قل! (106) رَوَدَنِي

106 - رواه أحمد وأبو داود والنسائي. وصححه الألباني. انظر

حديث رقم: 1228 في صحيح الجامع.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
 مفسراً في حديث آخر بتفصيل، وهو قوله ﷺ:
 صيام ثلاثة أيام من كل شهر: صيام الدهر! وهي
 أيام البيض: صبيحة ثلاث عشرة، وأربع عشرة،
 وخمس عشرة. (109) وقد صح أنه عليه الصلاة
 والسلام كان يلتزمها ورداً تعديداً. فعن ابن عباس
 رضي الله عنهما، أنه ﷺ كان لا يدع صوم أيام
 البيض في سفر ولا حضراً (110).
 وأما المسلك الثاني فهو: صوم الاثنين
 والخميس من كل أسبوع، كليهما أو أحدهما،
 على حسب قدرتك. فقد ثبت قوله ﷺ: تعرض

109 - رواه النسائي، وأبو يعلى، والبيهقي عن حمير. وصححه

الألباني، رقم: 3849 في صحيح الجامع.

110 - رواه الطبراني، وصححه الألباني، رقم: 4848 في صحيح

الجامع.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
الأعمال يوم الاثنين والخميس؛ فأحب أن يعرض
عملي وأنا صائم! (111) وقد تواتر أن النبي ﷺ
كان يلتزم ذلك التزاماً! فقد صح أنه ﷺ: كان
يتحرى صيام الاثنين والخميس! (112) وفي
حديث آخر أنه عليه الصلاة والسلام: (كان أكثر
ما يصوم الاثنين والخميس؛ فقل له؟ [أي سئل
عن سبب ذلك] فقال ﷺ: الأعمال تعرض كل

111- رواه النسائي عن أبي هريرة. وصححه الألباني، رقم: 2959 في صحيح الجامع.

112- رواه الترمذي والنسائي عن عائشة. وصححه الألباني، رقم: 4897 في صحيح الجامع.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
اثنين وخميس؛ فيغفر لكل مسلم إلا المتهاجرين،
فيقول: أخروهما! (113).

113- رواه أحمد عن أبي هريرة. وصححه الألباني، رقم: 4804 في صحيح الجامع.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله

تبصرة: في صوم المُقْلِبِينَ السَّابِقِينَ!

فإن لم تستطع التزام ورد من المسلمين
المذكورين؛ لعلّة تتعلق بالبدن، أو بطبيعة العمل
المهني؛ فَلَكِ عَوْضٌ عنهما عظيم! وذلك باعتماد
فرص العمر العابرة، من صيام النوافل السنوية
الكبرى. من مثل صيام يوم عرفة، ويوم عاشوراء،
فقد صح فيهما قول الرسول ﷺ: صوم يوم
عرفة يكفر سنتين: ماضية ومستقبله! وصوم
عاشوراء يكفر سنة ماضية! (114) فمن
التزمهما معاً، أو أحدهما؛ ورّداً لكل سنة؛ كان -
بعملية حسابية - كمن صام الدهر كله! ولك
أيضاً في صيام ستة أيام من شهر شوال، بعد

114- رواه مسلم.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
صيام ستة أيام من شهر شوال، بعد رمضان من
كل سنة النتيجة عنها وربما أعظم! فقد صح قول
الرسول ﷺ الصريح المليح: من صام رمضان،
وأبعده ستاً من شوال كان كصوم الدهر! (115)
ذلك إذن؛ هو الصوم؛ فَلَكِ السير العجيب!
بِرَاقِ الأوراد، وواردها السري، وذكرها
الصّامت! حيث يُعبد الله بالترك لا بالفعل! وما
أشدّ الترك على النفس وما أعصاه! لو تدري يا
أيها السالك المحب! أن تترك ما تترك لله! يعني
أنك صرت من أهله! (116) فاجعل على أورادك

115- رواه مسلم وأحمد وأصحاب السنن الأربعة.

116- يجوز استعمال عبارة (أهل الله وخاصته)؛ لما ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: عن النبي ﷺ، قال: (إن لله تعالى أهلين من الناس: أهل القرآن هم

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
تاجا من الصوم مهما قل؛ تختصر الطريق إلى الله
فتكن من أهل الرِّيان، متفردا مع الصديقين
والربانيين!

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله

خاتمة

وخاتمة الكلام - يا أخي - فاتحة عمل لي ولك
إن شاء الله. إذ تحصل لك من هذا الميثاق ثلاثة
عهود:

العهد الأول: ورّد الذكر

والعهد الثاني: ورّد القرآن والقيام

والعهد الثالث: ورّد البلاغ. وهو ثلاثة

مسالك: أولها المراقبة للصلوات، وثانيها مداواة
القرآن، وثالثها بلاغ حقائق الإيمان في الناس.

فتعهد نفسك - أيها السالك الخب -

وأصحابك بالقرآن تدبّراً، وبلاغاً. فإن لم تجد لك

أهل الله، وخاصته (رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم،
وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: 2165).

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
مجلساً قرانياً؛ فأوجدته، فإن لم تتمكن فاسلك ورد
القرآن فرداً، ذاكراً ومتدبراً.

واحرص على ختمة العمر! وذلك بختم
القرآن مداواة حتى يكون لك ذكره - بعد
ذلك - سياحة في ملكوت الرحمن، وغذاء متدفقا
على الجنان، يحیی به القلب أبداً.

واجتهد لبلاغ الخير في الأمة؛ واجعل لك
رفقة من التائبين؛ وتغرس لك ولهم جذورا
برياض المسجد، ليستقيم لك رباط الصلاة
صحة. فهو خير لك من الدنيا وما فيها! وبهذا
يتم تناسل الخير في الأمة. فتحاسب نفسك كل
يوم؛ عن جديد صنعك من ذلك.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
قال الأمر إذن إلى ثلاثة أعمال، هي مرجعك
للمحاسبة والتقويم: رباط الصلاة، وورد القرآن
والأذكار، ثم مجلس القرآن. إذا وثقت عهدك
عليها كانت هي ميزان الصدق والوفاء، لعهد الله
وميثاقه. فهل وفيت؟

فأثبت على عملك الصالح، ولا تنقطع عن
الخير! ففي حديث عائشة رضي الله عنها قالت:
(كَانَ آلُ مُحَمَّدٍ إِذَا عَمِلُوا عَمَلًا أَثْبَتُوا)¹¹⁷
أي: أداموه والتزموه!

وليكن مشربك من هذا كله مورد السلف
الصالح عقيدة صافية، وسلوكا ربانيا، تربيته
الستوى، ويجلله الورع. ذلك أن ميدان الذكر،

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله وطريق السير إلى الله، كان منذ القديم مزلقاً حرجاً، زلت بقممه أقدام، وتاهت في مسالكه أقلام! لما زينه الشيطان خدعةً واستدراجاً، لبعض جهلة العباد، من مخالفة السنة والارتقاء في مستنقعات البدع والخرافات.

فاحذر الحذر! مما لا دليل عليه من كتاب الله وسنة رسول الله. فإنما الأوراد عبادات. وقد غلِم في أصول الفقه: أن مثل هذه الأمور تؤخذ بالقاعدة الشرعية القاضية بأن (الأصل في العبادات المنع حتى يرد الإذن! وأن الأصل في العادات الإذن حتى يرد المنع!)

ثم اعلم بعد هذا كله أنه لن ينفعك من عملك الصحيح ظاهراً، إلا ما خلص الله الواحد

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله القهار باطننا فاحذر أن تكون من الأخسرين أعمالاً، ممن وصف الله جل وعلا في القرآن العظيم: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (الكهف: 103-104) فابك على خطيئتك، وفكر في مصيرك، فإن كل آت قريب. والعاقبة للمتقين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (آل عمران: 200).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله وكتبه بمكناسة الزيتون فريد بن الحسن الأنصاري الخزرجي عفا الله عنه وغفر له ولوالديه ولسائر المسلمين، وكان تمام تصنيفه وتنقيحه بحمد الله يوم الأحد: 21 ربيع الثاني 1424هـ / 06/22/2003م.

فهرس المحتويات

5	مقدمة.....
31	الفصل الأول: في تأصيل العهد وميثاقه.....
45	تبصرة: كيف توثق العهد؟.....
51	الفصل الثاني: في عهد الذكر.....
53	تبصرة: في أن الذكر هو مسلك المفردين السابقين!.....
60	تبصرة: كيف تذكر الله؟.....
72	تبصرة: في مسلك الذكر القرآني.....
74	تبصرة: في أخذ القرآن بمنهج (التلقي)
85	تبصرة: في مسلك الذكر النبوي.....
95	تبصرة: في مجلس الذكر.....
103	الفصل الثالث: في عهد القرآن والقيام.....

107	تبصرة: في أوقات القرآن.....
114	تبصرة: في قرآن القيام.....
127	الفصل الرابع: في عهد البلاغ.....
129	تبصرة: في المفاتيح الثلاثة.....
141	تبصرة: كيف البلاغ؟.....
145	الفصل الخامس: في المختار من الأذكار.....
184	تبصرة: في بُرَاق الأوراد.....
200	تبصرة: في صوم المقلين السابقين.....
203	خاتمة.....
209	فهرس المحتويات.....

انتهى بحمد الله.